

بعد المحنة

نخرج الآن ، من بين الركام والضحايا ، لننفض عن كواهلنا غبار الشر المستطير الذي جثم على صدر لبنان ، عشرة أشهر ، ذاق فيها الناس ، هنا ، ما لم يذقه شعب في تاريخ قديم او حديث .

ومجلة « الاديب » التي لم تقو على اسكات صوتها مدافع الحرب العالمية الثانية ، والضاقة اثر الضائقة ، مما تحملناه قوميا وشخصيا في هذا الشرق العربي ، كانت احدي المؤسسات الفكرية التي شاركت في دفع الثمن الباهظ ، فاضطرتها المحنة الدامية الى الاحتجاب ، وهددت القذائف المجنونة حياة منشئها وعائلته ، بعدما اتت النيران والقنابل على اقسام كبيرة من مكاتبها وغرف المنزل القائم في اكثر مناطق بيروت حدة وحرارة ، وتعرضا لنيران الفرقاء المتحاورين بلثة الدمار الرهيب .

وفي هذا العدد المزدوج الذي يصدر على هذه الصورة التسمية ، للمرة الاولى منذ نشأتها ، نحاول « الاديب » ان تستدرك ما كاد يثبت من الوشائج الفكرية بينها وبين قارئها ، وان تسابق الايام السوداء التي جرت سراعا ، وفي يقينها ان كل وسائل النثر والدمار لن تستطيع ان تخرس كلمة العقل ، ولن تقوى على قهر ارادة المحبة في بناء الاوطان .

واذا كانت « الاديب » تشكر من الاعماق كل احيائها واصدقائها وقرائها الذين تطفوا بالاستفسار عنها ، وعن منشئها وهيئة تحريرها ، فهي تود ان تجدد عهدا للمؤمنين مثلها بان كل دولة تدول ، الا دولة الفكر ، فهي الى غير زوال لان بنيانها المرصوص قائم على اساس المعرفة البصيرة الواعية .

ولسوف نستأنف المسيرة الصاعدة ، في خدمة الادب العربي ، بالتعاون مع الاقلام العربية الخيرة التي سوف تتخذ من احداث لبنان عبرة تفيدها في مقبلات الايام ، على امتداد اقطارها ، لاجل انطلاق قيم الانسان من اسوارها ، وكبح جماح الوحش الكامن في اعماق الكائن البشري .

ان مجلة « الاديب » ، وهي تضم جراحها بشموخ وكبرياء شبيهين بشموخ لبنان الجريح وكبريائه ، لتعرف انها مدعوة الى اعادة البناء ، وهي واثقة بان كل احقاد الشر ستندحر امام سماحة الخير ، في نهاية المطاف!

الاديب

تنقصها الدقة من أبي شادي ولعل من الاحجى تصويبها قبل ان تستقر في اهباء التاريخ الادبي استقرارا يتمسك به . وليس مقصدي ان اخطئ احدا ، وانمسا مقصدي ان اذكر بوقائع يحيى في متناول اليد .

فقد كتب سالم علوان الجليبي من بصرة العراق فصلا في « ادب » ابريل ١٩٧٥ استنتج فيه من قولي انني وقفت على قبر أبي شادي في واشنطن في ٨ سبتمبر ١٩٥٥ بعد ثلاثة اشهر من وفاته ، ان تلك الوفاة قد وقعت في يوم ٨ ابريل ١٩٥٥ على وجه القطع والتحديد ، وهو استنتاج متعسف يحمل الالفاظ اكثر مما تحتمل ويؤولها بغير ما تشير اليه . وهو لو رجع الى مجلة « الادب » لوقع في عدد يونيو ١٩٥٧ على فصل لي عنوانه « رجل المبادي احمد زكي ابو شادي » وقد كتبت به بمناسبة انتشاء عامين على وفاته في ١٢ ابريل ١٩٥٥ ، وهو التاريخ الصحيح لوفاة الذي اكده جرجي نصر في عدد يونيو ١٩٧٥ من « الادب » بعد رجوعه الى كتابات استاذنا العلامة روكس بن رائد المزري .

ولست في حاجة الى نقل تاريخ وفاة أبي شادي من صحف أو مراجع ، لما زالت تحت يدي البرقية التي تلقيتها من أسرته في واشنطن تنميه يوم وفاته . فضلا عن انني قرأت تاريخ الوفاة محفوظا على اللوحة البرونزية المثبتة على قبر أبي شادي في ضواحي واشنطن .

ومديتنا ادب مروءة ، صاحب مجلة « السياحة » اللبنانية ، شاء ان يحيى فؤاد القصاص الذي يصدر جريدة عنوانها « المصري » في لوس انجليس ، بمناسبة الدعوة التي قادها لاقامة مهرجان شعري كبير لشاعر المهجر الأكبر جورج صليح تكريما له على ابادته على الادب والشعر المهجري بوجه خاص ، فكتب في عدد ١٥ يونيو ١٩٧٥ من « السياحة » كلمة قال فيها ان محاولة القصاص اصدار جريدة مصرية في أمريكا هي « المحاولة الثانية بعد محاولة المرحوم الشاعر زكي أبي شادي الذي اصدر مجلة ابولو في أمريكا في الثلاثينات من هذا القرن » .

ومجلة « ابولو » - التي صورت مجموعتها اخيرا في لبنان وطبعت بطريقة الاوفست - كانت كما يعلم الذين خضرمهم الله - وليس منهم ادب مروء المتجدد الشباب والفتوة ! - تصدر في القاهرة لا في أمريكا ، وان هجرة أبي شادي الى الولايات المتحدة تم له الا بعد الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٤٦ لاني الثلاثينات من هذا القرن .

واستاذنا الكبير رشاد علي ادب ، بعزه اربحنه فوجه الى تحية سخيّة مشكورة في عدد أغسطس ١٩٧٥ من « الادب » قال فيها انني كنت عضوا في جمعية ابولو المشهورة ، وهو شرف لا ادعيه وتهمة لا ادفعها ، كما يقول مكرم عبيد باشا ! ولعل استاذنا رشادا استنتج هذه العنصرية من كتابات أخي الحميم الدكتور خفاجي الذي لا يغتصا بنسب الي في كتبه صفات ليست لي ، ويضعني في منازل ادبية لا احلم ببلوغها او الظفر بشيء منها . والخفاجي قد



الدكتور احمد زكي ابو شادي

هديت مستطرد عن أبي شادي

بقلم وديع فلسطين

على قرب عهدنا بالشاعر النائر العالم الاديب الفد الدكتور احمد زكي أبي شادي ، بدانا نختلف على حقائق ثابتة ، بل منشورة ، في سيرته واعماله ، هذا على الرغم من ان ابا شادي كان من اغنى الادباء المعاصرين بالدراسات التي انعقدت عليه في حياته وبعد وفاته ، فقد كان موضوع رسالة جامعية قال بها صاحبها الدكتور كمال نشأت درجة الدكتوراة كما كانت مجلته « ابولو » موضوع دراسة اخرى نال بها صاحبها الدكتور عبد العزيز الدسوقي درجة الماجستير ، هذا كتاب « رائد الشعر الحديث » بجريته للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ، وكتيب اخر لحمد عبد الفتاح ابراهيم ، ودع عنك الدراسات المستفيضة التي دجبت عنه باقلام اساتذة الادب ومنها كتاب كبير بالانكليزية لاسماعيل احمد ادهم ، وكتاب صدر في العام الفاتحة جماعة ابولو بمناسبة انتشاء اربعين عاما على صدور مجلتها ، وقد اشرف على تحريره الدكتور خفاجي ومصطفى عبد اللطيف السحري وحررت فصوله باقلام اصدقائه ابي شادي وتلاميذه . وفي الاوان الاخير ، قرأت في ثلاثة مواضع استنتاجات

قال في غير موضع واحد من كتاباته اني من امتدادات جماعة « أبولو » ومن المؤتمنين برأدها أبي شادي والمتأثرين بانجاساتها ، فجاء استاذنا رشاد وتفصل ففعل تنصيصي عضوا في الجمعية من فيوض كرمه وسخاله .

وفي هذا الصدد ، قرأت في عدد سبتمبر ١٩٧٥ من مجلة « العربي » الكويتية كلمة عنوانها « جمعية أبولو الأدبية في مصر » كتبها صديقنا الاديب الكبير م . خ . ت . وهو هو محمد خليفة التونسي ولا سواء . ويبدو ان التونسي اذ يعيش في غربته الثانية بعيدا عن مراجمه ، ولم تسعفه الذاكرة وهو يحصى رواد جماعة أبولو الا باسماء الدكتور ابراهيم ناجي وصالح جودت ومحمد حسن اسماعيل ومحمد عبد المعلى المهندي وجميلة العلايلي وأبي القاسم الشابي وهاجر زمشخري . ولكن ذاكرا التونسي خاتمه فقاته ايراد اسماء حسن كليل الصيرفي ومحمود أبي الوفا ومصطفى عبد اللطيف السحرتي والدكتور مختار الزوكيل وعامر محمد بحيري والدكتور عبد العزيز شتيق وعلي احمد باكثير وشفيق مخلوف ومحمد مصطفى الماسي ومحمد مهدي الجواهري والياس أبي شبكة وغيرهم من الشعراء الذين اتصلوا بأبولو وأبي شادي ، ونشروا شعرهم في مجلته ، وعرفوا في العالم الادبي لأول مرة بفضل هذه المجلة . ومن هؤلاء الادباء والشعراء من اثبت بأمانة التفسير الى الاقرار بأنه لولا استاذية أبي شادي ورعايته وتوجيهه الحالي ، لما عرفوا كيف يشقون طريقهم في الحياة الادبية التي كانت حتى ذلك الوقت تعيش في بؤرة ابطرة التسلو شيوعي وحافظ ومطران ، والمقاد والذاني والرافعي .

سقت هذه الاستدراكات كمدخل إلى جديد مستطرد عن الدكتور احمد زكي أبي شادي الذي رج الحياة الادبية في مصر رجة موفقة في العقد الثالث من هذا القرن ، سواء بمجلته « أبولو » أو بمطبعته ، أو بكتبه ، أو بمحاضراته ، أو بندواته ، أو بجمعياته الادبية والعلمية والاجتماعية ، أو باتصالاته ، أو برعايته للجيل الناشئ من النقاد والشعراء والعلماء وأهل الفكر .

وعلى مثل هذا النشاط ثابر الدكتور أبو شادي حتى بعد هجرته الى الولايات المتحدة . فهناك انشا « رابطة منيرقا » - ومن أبرز اعضائها الاحياء الشاعر الكبير نعمه الحاج اطال الله عمره وامده بالصحة والعافية - وانشأ « المكتب الادبي المصري » وهو العنوان الذي اطلقه على مكتبه الخاص في نيويورك ، واتصل بالجامعات اميركية ، ومعاهد آسيا والشرق الاوسط وحاضر فيها وحرر في مجلاتها ، وبعث الحيوية في الاذاعات الاميركية ، وشارك في برامجها الادبية والشعرية والتمثيلية ايضا ، وطير مقالاته ودراساته لتنتشر في المجلات الادبية او العلمية او الدينية التي تصدر في العالمين العربي والاسلامي ، ولم يدع ظاهرة من ظواهر الفكر الا عالجا واستجلاها ونبه اليها ، ولم يهمل كتابا نفيسا الا عرف به واحسن تقويمه وتقويمه ، ولم

يقفل ادبيا مرجوا او شاعرا مامولا او كاتباً ترجى خطاه الا اعنتى بهم وعرف بأثارهم ووجههم الوجهة التي تخدّم رسالة الادب ، وشجعهم بروح استاذيته واتصل بهم وتابعهم ايا كان مقامهم في دنيا العرب المستعارة .

يبدأ صلتني بأبي شادي بعد هجرته لا قبلها ، وعرفته من رسالته وكتاباته ولم اعرفه بشخصه ، وان كانت المودة التي نشأت بيننا وتجاوبت لها روحانا قد قامت مقام اللقاء وكادت تفني عنه . فبينما انا كاتف ذات يوم على عملي في جريدة « المظفر » ، زارني الاخ النبيل والاديب الاصيل مصطفى عبد اللطيف السحرتي ، وتحت ابطه اضبارة كبيرة وفي يمينه لفافة من الورق الكالغافات التي يحملها المهندسون . فقلت للسحرتي : ماذا ورايك يا عصام ؟ هل تراك اتسرفت الى دراسة الهندسة ورسوم الخارطيات الطولية والمستعرضة ؟ فاجاب : كلا ، فما غادوت ميدان الادب . وهذه لفافة الاسطوائية الشكل هي صورة للحفل الكبير الذي اقامته اكااديمية الشعراء اميركيين وجمعية الشعراء اميركية في فندق والدورف استوريا لتكريم صديقنا أبي شادي يوم ٣٠ من ابريل ١٩٥٠ . وهذه الاواق التي انسا متابها هي طائفة مختارة من الكلمات والقصائد التي القيت في حفل تكريمه .

فقلت للسحرتي : عجب ان تمام حفلة كهذه لتكريم اديب مصري في امريكا لا تم تنشر عنها الصحف المصرية حرقا ، كما نلتسردك هذا التصريح في جريدتنا . ولعلنا تخصصنا صفحة كاملة من الجريدة لوصف الحفل وما قيل فيه ، ونشروا صورة الحفل في صدر الصفحة ، ونشرنا في اعداد تالية ما يسر ادراجها في الصفحة الواحدة المحدودة . ولما عرف أبو شادي من السحرتي الوفي ان لي صلة بما ابدته الجريدة من اهتمام بامره ، كتب الي شاكرا ، ثم اهداني ديوانه « من السماء » الذي اخذت مناسبة صدوره ذريعة لاقامة هذا الحفل الكبير ، واتصل بيننا البريد واستمر حتى بعد وفاته ، اذ ان اخر رسالته قد جاءتني بعد رحيله المفاجيء بأيام .

ولا بد من الاقرار هنا بأن صداقتي لأبي شادي كانت امتحانا لصبري على خدمة الادب ، او لعلها كانت تحديا لي لكي أوسع دائرة اتصالاتي الادبية في وقت كانت الصحافة تستغرقني استغراقا يجعل الادب على هامش الهامش من حياتي ، واذكر هنا كيف كان أبو شادي يسوقني سوقا لخوض ميادين لم اتعبها لها كل التهيؤ .

ف ذات يوم تلقيت بالبريد فصولا مستقلة من دائرة المعارف الاميركية كتبها استاذنا العلامة الكبير الدكتور فيليب حتي ، ومعها بطاقة منه تنقل الى تحياته . ولما تحررت الامر ، عرفت ان ابا شادي هو الذي حرص الدكتور حتي على هذه البداية الكريمة التي بفضلها نعمت بصدقة هذا المؤرخ العربي العظيم ، اطال الله بقاءه ورد العافية اليه . وذات يوم تلقيت في البريد كتابا ضخما عنوانه « بعث

يرجوني موافاته بها . والكتب التي هو طالبها تعالج جميع فروع المعرفة في القديم والحديث : كتب تراث وكتب دين وكتب ادب ، ودواوين شعر ، ودراسات نقدية ، وكتب في العلوم ، وكتب في الفنون ومعاجم لغات ومصطلحات ، وكتب تاريخ وسير وكنت وافيها كل يوم بحزمة من الكتب ترز كيلوغرامين ، وهو الحد الأقصى المسموح به لشحن الكتب بالبريد ، لا أتخلف عن ذلك الا يوم الجمعة بسبب عطلة البريد . وقد ارسلت اليه مئات من الكتب لم يعمل منها كتابا واحدا ، بل عكف عليها دارسا وباحثا ، واستخرج منها مادة لحاضراته او فصوله النقدية او بحوثه التاريخية .

واذكر بهذه المناسبة انه لما صدر كتاب الدكتور محمد احمد خلف الله حول الفن القصصي ، قامت من حوله مجلة كبرى في الصحف والدوريات ، وانتقل الامر الى دور التقاضي ، حيث وجد القاضي نفسه لتقاضي قضية ادبية عسير البت فيها . وكان الدكتور ابو شادي قد قرأ هذا الكتاب ، واعد عنه دراسة منصفة نشرتها مجلة «المنظف» فقدم الدكتور خلف الله نسخة من المجلة الى المحكمة قائلا ان رأي ابي شادي رأي رجل محايد يعيش في مهجر بعيد ، فلما قرأ القاضي مقالة ابي شادي اصدر حكمه في الدعوى وهو مطمئن الى سلامته .

وعندما قرر الدكتور ابو شادي الهجرة الى الولايات المتحدة الاميركية في اعقاب الحرب الكونية الثانية فرأى من الجوع السام الذي كان يحيط به في عمله الجامعي (فقد كان وكيلالكلية الطبية بجامعة الاسكندرية واستاذ البيولوجيا فيها) ، لم يجد على السفن المبحرة وقتذاك مكانا لنقل مكتبته الخاصة التي كانت تضم آلافا من المجلدات . فقام بتعبئتها في صناديق وقرعها امانة لدى إحدى شركات الشحن ، وهذه خزنتها في مستودعات الميناء (البوند) وربما استطاع تصديرها . وسافر ابو شادي ظاناً بان مكتبته الخاصة لن تلبث ان تلحق به . ومضت سنة بعد اخرى وثالثة ورابعة وخامسة ، والكتب جاثمة في صناديقها ، واجراءات الشحن لا تتم ، وابو شادي يكاد يمتزق حزنا على « راس ماله » الذي يستعين به في اغراضه الادبية والعلمية المختلفة في ديار هجرته .

ولما اتمته المجلة ، رجاني ان اتصل بشركات الشحن في الاسكندرية لاستعجال الاجراءات وموافاته بالكتب في اول باخرة . فقالت لي الشركات الشاحنة ان تصدير الكتب محال ، لان لهذه الكتب قيمة مادية قد تقدر بالالوف واخراجها من مصر هو والتهرب سواء ! وحاولت اقتناع الشاحنين بان هذه الكتب تمثل في حقيقتها اتمعة شخصية لصاحبها ، وهي ذات صفة خصوصية وليست لها صفة تجارية ، وانها ينبغي ان تعامل معاملة الاناث الشخصي الذي ينتقل المهاجر معه عند سفره . ولكن كلامي كان يسع على اذان صماء . فعند رجال الجمارك يستوي البصل

جزيرة العرب » مؤلفه الدكتور جورج خير الله ومعه رسالة من المؤلف - وهو امريكي من اصل عربي - بان اترجم له هذا الكتاب من الانكليزية الى العربية لان الدكتور ابو شادي زكائي عنده . وهو كتاب قيم بترجمته فعلا وقد منست نسخته الوحيدة الى مؤلفه الذي توفي قبل نشره ، ولم اعد ادري مصير هذه الترجمة .

وفي يوم اخر زارني استاذ ازهري قائلا ان الدكتور ابا شادي وجهه لكي ينشيء صلة بي ، وكان هذا الاستاذ شيخنا العالم الكبير محمد عبد المنعم خفاجي الذي ما انك يفقد علي من اخوته ووفائه وعلمه وبره ما ذكره بالشكر له والرفان لصاحب اليد الطولي في هذا الوداد ، عنيت الدكتور ابا شادي .

وزارني كذلك مدرس ادب قال ان ابا شادي دلته على عنواني ، فاتفقت بيني وبين رضوان ابراهيم صلة من المواد والاخوان اتمت بها ما حييت .

وتلقيت في البريد نسخة من جريدة « الهدى النيويوركية لصاحبها نعيم وسليم مركزول ، فاذا ابو شادي قد كتب فيها صفحة كاملة مني ، حاشرا اياي في سلسلة بداها بمكرم عبيد باشا ، ولتها بسلامه موسى .

وجاءني مجلة اميركية عنوانها « شؤون الشرق الاوسط » فبحث عن مصدرها ، ولم يكن مصدرها الا الدكتور الزكي ، الذي لم يلبث ان كتب فيها باللغة الانكليزية فصلا مسهما من الادب المصري المعاصر - كان محاضرة ملقاة في جامعة برنستون - وقد خصني في هذا الفصل بعبارة سخية .

وتلقيت رسالة من « معهد اسيا » في نيويورك ينشئ الي نيا تعييني عضوا فخريا فيه ، ولما استقصيت الامر ، تبين ان الدكتور ابا شادي هو الزكي ، بل المحرض ، على هذا الفضل الجديد .

وفي عام ١٩٥٢ تعرضت لانكشريات جائرة احوجتني الى ان اتبين عدوي من صديقي ، فكان شعر الدكتور ابي شادي من اكبر اسباب حزائي ، اذ وجه الي قصيدة عنوانها « الاخطبوط » قال في ختامها :

مجد البصل على الذي اخرجنا . المهدون الراسدون سمورا
اللمسون بقرهم تعريهنا . والخالفون لها منى وشعورا
فلذا امينوا او ايسل ترالهمسم لم يحسمي مجسد بدمع مذكورا
بسل لظفت صلف الفغار بوسمة تبلى . وبحسبها الزمان فجورا
وهي قصيدة ادرجها الخفاجي في كتابه « رائد الشعر الحديث » .

وذات يوم تلقيت رسالة من الرابطة الدولية لحقوق الانسان في نيويورك تختارني مراسلا لها في مصر ، فاستفسرت منها كيف عرفت اسمي وعنواني ، فجاء الجواب : من الدكتور ابي شادي .

واكثر ما امتحن به ابو شادي صبري على الادب ، هو نهمه الغريب للكتب . فقد كانت رسالته الي مكتظة باسماء الكتب التي يشير علي بقراءتها ، وباسماء الكتب التي

والكتاب ، وما دام البصل يحتاج الى اذن تصدير والسى ضمانته بنك والى استثماره رقم كذا وقسيمة رقم كيت، فهذا النظام نفسه سار على الكتاب .

واستندت بوكيل وزارة المالية المرحوم الدكتور محمد توفيق يونس بك (وهو من اعظم الرجال علما وخلقا وفضلا) وكان يعرضني معرفة شخصية ، قلت له في خطاب شخصي ان ابا شادي يقوم بمفرده وبغير مساعدة من جهة رسمية بدعاية الاداب العربي والقضايا العربية والفكر العربي في جامعات امريكا ومنتهاباتها وصحفها ومجلاتها دون ان يتقاضى على ذلك مليها واحدا من خزانة الدولة . فكيف نفس عليه بمكتبته الخاصة التي يستعين بها في اعداد محاضراته ودراساته وبحوله للتعريف بالعرب في العالم الجديد ؟ ومكتبته الخاصة مخزونة الآن في مستودعات الميناء عرضة لمعامل البلي من رطوبة وأرضة وهوام ومبث . فهل هذا يريسيك ؟

وبادر الدكتور يونس باصدار اوامره بشحن الكتب فوراً وبغير اجراءات بعد عرضها على الرقيب ! وجاء الرقيب الهام ، فقلنا له : هيا ، اشرع في قراءة عشرين الف مجلد لتوافق على شحنها او طبعها اجاز شحنها دون ان يقرأ صفحة واحدة منها او يفتح صندوقا واحدا . وسافرت الكتب الى صاحبها في نيويورك .

ولا تسلم من فرح ابي شادي بوصول مكتبته اليه ، ولكنه فرح مازجه حزن مضى ، سببه ان قسما من الكتب قد الفه ماء المطر طوال سنين ست اوسع ، وان المخطوطة التي كان الدكتور ابو شادي يحتفظ بثلثيها في « الخزائن » للشاعر العراقي جميل صديقي الزهاوي قد عثر المصور عليها بين الكتب ، ورجع ابي شادي فقلدها .

وكان الزهاوي في تحرره الفكري يخشى على هذه المخطوطة من اهل التزمت ، فاودعها لدى سلامة موسى الذي خشي بدوره ان تمتد اليها ايدي المغاردين من رجال الشرطة الذين لا ينفكون ينفرون على بيته وكنيته ، فاودعها لدى صديقه ابي شادي لتكون في مأمن من المص .

والى ان انتقل ابو شادي الى رحاب ربه وهو على يقين ان المخطوطة قد فقدت نهائيا ، لانه لم يهند اليها حين نسق مكتبته في نيويورك ، ولا عثر عليها حين انتقل بعد ذلك الى واشنطن واعاد تنسيقها بعد شحنها الى هناك من الممر الذي كان اخذته لعمله في وسط مدينة نيويورك بشارع لكسنجتون .

اما كيفية العثور على هذه المخطوطة ، لم نشرها نسي عام ١٩٦٢ ، قلده قصة لا يتسع لها هذا الحديث ، وهي مرجاة الى حين .

واما مكتبة ابي شادي التي كلفته ما كلفته من مسال وجهد واثف بسبب العكوف عليها صحته وبصره ، فقد اهدتها ابنته صفية الى جامعة « يوتا » الامريكية لتحتل خزانة خاصة في القاعة التي اطلق عليها اسم الدكتور عزيز سوربال عطية الزوخ المشهور في تلك الجامعة .

والحديث من ابي شادي لا بد ان يفضي الى تسأل جدي عن تراث ابي شادي . تقبل الهجرة ، لم يكن ابا

شادي يجد مشقة في نشر كتبه ، لانه ان لم يجد ناشرا ، تولى النشر لحسابه الخاص وطبع ولو بضع مئات مسن النسخ اهداها الى اصدقائه . اما بعد الهجرة فقد قابلته مشكلة النشر بفظافتها . وكان اول ما نشره من كتب نسي المهجر - وهو كذلك آخر ما نشره - هو ديوانه الموسوم « من السماء » وقد جمعت تبرعات لطبعه ، واهديت منه الف نسخة الى دولة احمد حلمي باشا رئيس حكومة عموم فلسطين لتباع وترصد حصيلة القضية الفلسطينية . وقد اخبرني حلمي باشا انه كان يودف مندوبين من قبله ومعهم نسخ من الديوان الى الرجال المرموقين في الحياة الاجتماعية واهل السياسة والوطنية ، فلا يشتري احد منهم نسخة . واعتقادي الشخصي ان معظم هذه النسخ الالف تسلم الى الايدي دون بيع ، وقد صادفت على سور حديقة الابركية الشهر بعض هذه النسخ مزجاة امام الماكسين .

وطبعت له دار « المتكلف » كتابين صغيرين هما الجزءان الاول والثاني من تمثيلات عنوانها « من نافذة التاريخ » ، كما طبعت له دار المعارف في سلسلة « اقرا » كتابا من مملكة العادري اي النحل خرج مليئا بالاغاليط . ونشر اخونا رضوان ابراهيم ثلاثة كتب لابي شادي ، كما صدرت من دور النشر في مصر ولبنان كتب اخرى قليلة . وهناك اربعة دواوين مهجربة هي حصيلة سنوات الهجرة وقد اوصى ابو شادي بتأليف لجنة من اصفيائه من اعضائها المصري والسعدي والخفاجي ورشوان وكتاب هذه السلوك للاشراف على نشر هذه الدواوين وسائر اثاره ، ولكن لجنتنا الوفرة تملك الوفاء والدوق الادبي والاخلاقي ، ولكنها لا تملك مطبعة ولا لها دالة على نشر ولا قبل لها بشراء الورق باسعار اسواقه السوداء المهيجة والبيضاء الوحشية !

ولكنني سمعت من الاخوة العزيزة صفية ابي شادي التقيعة على تراث ابيها ان هذه الدواوين قد تكفلت بنشرها دار لبنانية باشراف صديقنا العتيق الدكتور محمد يوسف نجم ، ولعلها تصدر قريبا ، فقير البر عاجله .

على ان هناك مقالات ودراسات ومحاضرات وفصولا تعد بالمئات تركها ابو شادي ، وكان الاموال تنشرها في كتاب متعدد الاجزاء عنوانه « التشكول » ، وعند صفية مجموعة كبيرة من هذه الفصول ، ولا بد من اخراجها بعد ان اقتضت عشرون سنة على وفاة ابي شادي دون ان ترى النور .

وقد قيل في ابي شادي كلام كثير لم يخل بعرضه من تحامل او من معاملة ، على شطط في الحالين ، ولكن المؤكد ان هذا الاديب العظيم قد استطاع بحيويته النادرة وتحركه الاجتماعي الدالب ان يخلق نهضة ادبية في كل دائرة يصل فيها . كما انه كان ، بتواضعه الاصيل ، ينسب الفضل الى سواه . فريسي ايو لو هو الشاعر شوقي ومن بعده الشاعر خليل مطران . ورئيس جملة من عرفا هو نعمه الحاج .

ولئن كنت واحدا من عشرات شلم ابو شادي بفضل ، فلا اقل من ان اذكر له هذه الايادي بمرغان واجلال

وجب .

وديع فلسطين

القاهرة

براعم الفجر

من وحي ماساة لبنان

الى اطفال القرن الواحد والعشرين

نحن جيل الحضارة الحمراء
فيهوي البناء اثر البناء
اي علم يدعو الى البقاء
ويطولاتنا ملاقي هراء
وكتبا تاريخنا بالدماء
فانا نعيش في الظلماء
كيف يسعى مصعد للعلاء
ارفعوه ارفعوه للجوزاء
جل عما يشويه من رياء
وجبنه خلف الف فضاء
تلك الضحوة على الضعفاء
اذا لاذ خصمه بالرجاء
انتم منه في اشد الفناء
لا تمس بينكم دواعي البلاد
فاجموا الحب دريكم السماء
لا تبادي اسباب داء بداء
فلماذا غرور ذي خيلاء
مثل من ينتمي « لاء السماء »
كلنا يا بني من حواء
يرحم الله شاعر الصحراء

من قيود ثقيلة تكرا
عن فضاء ، واشرق في فضاء
وسخافات غصبة لئلا
وفوضى تبيح كل اعتداء
فبادوا سخاءها بسخاء
كيف تحلو الحياة للاعداء
شمسكم في غلالة من ضياء
تجني عليكم جرائم الآباء
وانظروا لسلام ، لا للسوراء

ذكي قنصل

يا صفاري لا تنظروا للسوراء
نحن جيل الفناء نبني على الرمال
ندعي العلم ، وهو منا بريء
وطنايتنا معارض هرج
قد زرعتنا طريقنا بالفضحايا
لا تعلموا اسماءكم لدعاوانا
اقعدتنا الاوهام ، وهي سجون
الجدار الذي يحدد جيلنا
هل سمعتم بما نسويه ديننا
قد مسخناه بدعة وضلالا
هل سمعتم بما نسويه حقنا
صاحب الحق من يصول بالظلم
في قواميسنا كلام كثير
اطرحوه للنار ، فهو بلاء
نحن نؤنس بالحقد جيلنا وروحا
لا تنهوا بعبدة وسلاح
جبل الناس من تراب ومساء
ان من ينتمي لهي بن بسي
اي فرق ما بين عيد وصولي
لم يخبر في خلقه آدمي

يا صفاري الا اكسروا ما اخترعنا
من حدود تقول للشمس غيبي
من خرافات دعوة لخصام
من نظام يشل حرية الفرد
تفتح الارض للجميع لذاعيها
لا يكن بعضكم لبعض عدوا
غربت شمسا وتبيدا ولاحت
فاحذروا يا براعم الفجر ان
نحن ليل مضي... فطيروا صباحا

بوانس ايرس - الارجتين

انور الجندي

شاعر اللون والضوء والظلم

بقلم اسماعيل عامود

مثل ورقة عنب ، راقصة ، فوق دالية غريبة الانساع ،
شابة ، وارقة على مشارف ثلثات منداة بالعبير الربيعي
المشحون بالانفعالات المبكرة .. تقرأ اشعار « أنور - علي -
الجندي » هذا الشاعر الذي يعيش اليوم في « سلمية »
المدينة الصغيرة المتواضعة ، النامية ، على حافة بساتيدية
الشم - الشمالية الغربية .. المدينة التي كانت بمثابة كوخ
راحة واستجمام لـ « ديك الجن » واستراحة عبور
لـ « المتنبي » ، ومجمع أحداث غريبة ظافرة وحاسمة في
بعض جوانب التاريخ القديم ...

وكمثل لوحة هادئة ، صبيغة باللون والضوء والظل ،
مفعمة باليقظات ، تبدو لك قصائد هذا الشاعر ، ولكن
ضمن اطارات رمادية تشوبها مسحة مياهات فيها خيوط
حزينة ، وغربة ، وذهاب .. لعلى أطلال الشاعر - نفسه -
التي لم تتحقق ، أو لعلى طموحاته التي لم تسد الفروقة
البيئية أو الطبيعية أو النفسية - المناخ الانساني - المتحول
الى سوحها أو تخلف بعض ثمارها ، لا تدري ..

هشابا الهوى والاسهل الذكر الربى
للمخلة الشراء وهج غيبيلة
هتبات لهو بدلتها بد النوى
كناي لسم هنالك ...

غريبي ، غربة الزاهر في اليباء ، جلست على سورهم مسجلا
وغريبي ، غربة سوداء فانمت - كالكليل نظير الامسا واشجنا

جيبسي (٢) اوصا الفجر وهش السور والزهر
هشبات الصود يا عود وهش الطير يا طير
اذ فكرت في مفاصك شاش العقل والفكر
فاذا ما رجعتا القفري الى الثلاثينات والاربعينات
من هذا القرن ، وقلنا صفحات المجلات الادبية ، سوف
ان تمر بنا واحدة منها الا ونجد قصيدة أو قصيدتين فيها
لشاعر انور الجندي ، حتى ان مجلة « اسداء » الاسبوعية
الادبية التي كانت تصدر في دمشق بعد « الصباح » الادبي
وتوقفت عام ١٩٤٦ نشرت نبا ادبيا مفاده (٣) : ان استفتاء
قامت به المجلة ظهر لها بنتيجة ان انور الجندي الشاعر
السوري الرقيق ، هو اكثر الشعراء انتاجا ، وان انسق

المجلات الادبية في الوطن العربي واقررها مادة هي مجلة
« الاديب » لمنشئها الشاعر الاستاذ البير اديب ، وان اكثر
ادباء المقالة والقصة انتاجا هو الاديب العراقي المعروف
عبد المجيد لطفي ..

انز - اين ذهبت اعمال الشاعر أنور ؟ ولماذا لم يوف
النقاد حقته من الدراسة والتحليل والتقييم ... ؟

لقد لجأ النقاد عندنا - اليوم - الى تجاوز الكثير من
الاعمال الشعرية والادبية والفكرية ، بل وتعمدوا اهمال
نتاج مراحل عديدة ربما كانت تفيدهم في وضع مكررات
(محلية) سليمة وواضحة وجادة لما يكتبونه في هذه الايام
الراهنة في مجال النقد والتاريخ الادبيين ، بسدلا من ان
يقصوا في العتمة او يدخلوا في دهاليز نهايتها غير معروفة
حتى الان ، ذلك لان التزام الناقد بتسلسل المراحل ومسا
حظي به مثلواها في حياتهم من تاترات ، وما مر بهم من
أحداث وما تملوه هم من ثقافات راقدة ، لا قيمته العليا
في التدوينات النقدية ، ناهيك عن صحته التاريخية ،
وصدق التقييم ونجرده ...

لهذا ، كان لا بد لحاملي القلم النقاد - عندنا - من
التنقيب عن آثار جميع الشعراء ، او الكتاب ، مرحلة اثر
مرحلة ، حتى يكون الانتقال بواقض النقد الى وضعتنا
الراهية وفيها ، فيه الفرية والاخلاص ..

فالشاعر أنور الجندي لم يمر بانتاجه الشعري عبر
اواخر الثلاثينات والاربعينات وحتى الخمسينات دون ان
يتولد اثرا ما ، او بكلمة ثانية ، دون جدوى .. بل كان
لشعره لونا جديدا واثقا متميزا ، وصوتا منفردا بين
شعراء جيله - حتى انه كان يعتبر من الجدد في صياغة
البيت الشعري العربي وسبك القصيدة ذات الموضوع
الواحد المنفرد ، وكذلك كان من الذين احدثوا في الصورة
الشعرية التقليدية ظلالا امداد جديدة ، وادخلوا بين تلافيف
البيت الشعري موسيقا عذبة ، رخية ، وقدرة لفظية على
اثارة الاحساس والانسجام بين التاليف والمجاورة ، وبين
ما يغضه ذلك الاحساس والانسجام من اوضاع وصور لظيفة
وخواطر رقيقة تبعث بموسيقاها السائلة الانساني في النفوس
واضفوا على جو القصيدة ضيادات عاذلة تسطع عبر تأملات
شعراء ، واشاعوا بين تلامذاه كهر بآلية العصر ، من ذاء
ملائم منسجج ، وطاقاة ايجابية بارعة ، وقدرة متطورة
ذكية ، مع ابقاء الاتصال بالاصالة العربية :

احبك يا لهر الصبايا ، وبكرة هي الاصل المراح لونه شعري
احبك انت الروي في همساته نعيم من الابداء يبيق بالبحر
احبك يا طيب السورود ، ندية وبيا حمرة الذكر وبيا حلم الفجر

جرت يا حلو ، وهل يرحم حلو (١)
كلنا الفنيا تساربع وصفو
اننا من بعدك للام نفسسو
كلنا في تيوب الليث شلو

الذكر السامي ، فابكي ،
السري دعني منسبك ؟

انا يا حبيب على عهدك بالي
سنت ذكرك هل منت اشتياقي
كلما لاحت مناديل الفساق
هتف الحزبون يسا يوم التلاقي

في الليال السسوالا
وبسبول الفجر .. لا .. لا

أعرف أنور الجندى ، من مواليد ١٩١٧ ، تلقى علومه في مدارس التجهيز الرسمية والخاصة في سورية ، وبخاصة في مدينة حمص القريبة من بلدته سلمية ، ونهل من الأدب العربي حتى الزوية ، واستقى من اللغة الفرنسية وآدابها بكفاية ، إلى جانب أنه انحدر وترعرع وشب في وسط متعلم ومثقف وواع ..

ففي أواخر الثلاثينات ، بدأ ينشر شعره الجديد في مجلة « المكشوف » ومجلة « الإمالي » للدكتور المرحوم محمد خير النوري .. شعره المعتلى حيوية وشباباً ، كانت الدقة الشعرية لديه ، دقة ينبوع البثق لتوه ، صافياً رفاقاً عذبا منسرباً في سحاب قراء لتعشوشب الجنيات .. كان طلقاً ، سعيداً رفاقاً ، رفيف التاملات الخاطفة على هوامش الصور العابرة ، ذو ابتاع نفاذ يساير خطرات النفس الفنية ، عفواً ، كما لو كان يخرج دفعة واحدة غير كود .. وكان لا يحيطه أي مذهب .. كان مزجياً ، ولكن لا يبرر تأثره « بالطور الذي أصاب النهضة الأدبية على اثر التفاعل مع الغرب ، وبخاصة الفرنسي منه ، وإنشاء المدارس والكتليات وتوفر الترجمات التي توسعت آفاقها بحيث دخلت في الشعر العربي في سورية ولبنان خاصة ولكنها لم تترك لثلاث بعد بين قولها وتقاليدها ونفسيته من جهة ، بل طرقة هو - أي الشعر العربي عامة - وذلك ونفسيته وعادته من جهة ثانية ، لأنه لأن معظم الشعراء - وقتهم أنور الجندى - لم يعشوا هذه الترجمات وتلك الأحوال كما يجب » (١) ..

بعد أن الجندى ، مع بعض شعراء البلاد - قد سجل تطورا عاما إلى حد يكاد يكون مقبولا ، وقد أفاد مرقان علاقته بالشعر الفرنسي علاقة عضوية ، وتأثره بشعراء فرنسيين مثل (الفريد دوفيني ، وشاتوبريان ، ولامارتين ، وتأثر بعمق بالشاعر الانكليزي بايرون من طريق الترجمة الفرنسية) أما تحديد سوية الشعر عنده ، فلا يمكن سيرها إلا اذا وضعنا في انتباهنا وقت دخوله دائرة الإبداع وزمن مجاوراته للوالبات الأدبية الكبرى في العالم المتحرق المتقدم ، مثله ، مثل غيره من شعراء الوطن في ذبلك الزمن ..

ولا أخال أن الجندى - أنور قد قصر من هذا الهدف فهو الذي عاصر الحركة الأدبية في سنين الانتداب ، وتلقى العلم في مدارس البلاد الخاصة والرسمية ، ودرس اللغة الفرنسية ، واستوصب فنونها - أو بعض فنونها - فلونت شعره ببعض ألوانها الهادئة ، لذا فقد تمش بين إعطاف شعره وطيانه النفسية والروحية على أصباغها ناعمة من تلك الألوان التي لا بد من الاعتراف بها ، ولا الركون إليها لأنها تلوننا حضارية لا تنكرها النقد ، ولا بمعها التدقيق الجمالي في أية مرحلة من مراحل الانتقال من حال قديمة إلى حال حديثة ومعاصرة ..

ولكن يظل الشاعر المبدع في تجاوز مستمر من أجل أحداث أو خلق عالمه الخاص المتميز .. من هنا يصح لنا أن

على حواشي الفكر المخملي ، غيوف الراح وحلم طلي احبه وهما فيا للمعنى هلمات به الام مجبونة واي قلب لم يسبق لومسة وبت دولي الاحشاء شوقي جيسلي وداهما كان على غفلة لقد كانت الحياة العامة في سورية قد اخذت بأسباب النهضة الحديثة منذ عهد قريب .. فأقبلت على تجديد شتى مرافقتها بطور ويطء ، وتطلعت إلى مذاهب الغرب وبوجه واتاة ، وما تكاد تخطو إلى الامام حتى تلقت السى الماضي ، تحرص على خطوته الكبرى ، وتحاول ان تتواق انغامه مع الانغام الواردة إليها من بعيد .. ووضع سورية بين البادية والبحر ، يدعوها إلى ان تقبس من الحياة المجاورة بقدر .. فمن هنا كانت نهضتها الفنية كنهضتها العلمية ، ونهضتها الاجتماعية ، تسير وبيدا لا يتلو سيرها من المحافظة على اوضاع موروثة ، والتطلع إلى اوضاع لا بد آتية والشعر عنوان بارز من عناوين النهضة الفنية فسي سورية الحديثة ، فهو ان كان رغب في الشعر - فسي التجديد والحرية مرة ، فليد رغب في المحافظة على شتى السلف مرات ، وهو وان كان اصطنع الثورة حيناً ، فليد كان يخلد إلى موصفات الماضي أحيانا ، والشعر المنسوري كان يجري في حدود الرومانتيكية العربية من حيث حرصه على متفاوت النفس الواعية ، واستجابته للفكر والاساس والذكرى وما إلى هذا من أهواء واضحة ظاهرة .. ولكن ثمة طائفة جديدة من الشباب الشاعر تحاول ان تشق طريقها في زحمة الناس لتساهم في حمل مشعل الادب الحديث على اساس مواهبهم ، واساس من دراستهم للاداب الأوروبية والعربية والروسية والأمريكية أيضا (٢) وكان يتنازع الادب والاداية في هذه الآونة « تياران عنيقان يتصارعان اعنف صراع ، الاول تيار المحافظة على القديم ، ويمثله الادباء والشيوخ ، والاخر تيار التقدمية ويمثله فريق من الشباب الذين فهموا رسالة الادب عني حقيقيا فراحوا يتلمذون من وضع الادب الحاضر ، ويتقنون اشد التقنة على الادب القديم الذي لا يمثل فسي نظهم سوى ادب لا يتصل بالحياة الجديدة المعاصرة ولا يصور ما يضطرب فيها من فضيلة ورذيلة ، ولا بصور عادات من حولهم ، ولا يستمد من الواقع صورة ولا مشهدا » (٣) - فابن كان يقف أنور الجندى من هؤلاء واوئك ، وهو الشاب المتطور .. وابن هو مكانه من النهضة الفنية تلك ؟ وما هو اساس موهبته واساس دراساته ؟

الطالع أو الوجه ، بل هو الروح ومظاهر النفس ، الرؤية نقول : أن الشاعر أنور قد خلق شعره وأدخله دائرة الوعي والأبداع فيما يتعلق بمرحلته الشعرية التي عاشها وتعايش معها في أواخر الأربعينات وأوائل الخمسينات من هذا القرن المنطور السريع .

أما متى نضج الشعر مثله ، فهذا لا يمكن تحديده ، ذلك لأن الشعر يظل في سيرته الطويلة الحياتية يتجدد ، يظل طفلاً يترعرع في كنف الأحداث والتجارب ، مدسلاً ، تحدهو الانفتاحات وتزخمه الرؤى تلو الرؤى ، ما دامت النبضات في الدم ..

لنحترق الآن ، حان الرجوع إلى الأرض قبل الغروب وما دمت أشعر ، أن الحياة ظلام يغيم فوق الغروب عندما تستيقظ جفون الصباح ، وفلي وانت ترائيلها وتنتظي الإله والتفتحات ، وتسفر منا تهاويلها ولي مقلتيكس
ولي شفتيكس

حين يسهف روح الغروب
فهمي عليك تهاويلها
لنحترق الآن ، حسي حبيبك من عالم جاهد ماكر
تشدق بالثبور وهو الظلام ، يلوح على شفقه الساحر
أبكيه والجرح غور عبق ، ومسرار في القلب لا يستر
أبكيك ، والدم مله الحياة يكاد يلمم وجه القمر
ويكسا جرحها
وغفر حبها

جئتكم القناديل للشاعر
وهو هو يا بني يسبح الحزن (٩)

بعينيك من دنيا شيباني ببقية
أفهدعها والليل حيران لسانه
وللمتع الشقاء وهج مفلوف
بقية أحلامي وفي القلب شقعة
أناذك والدنيا سراب مسموم
أكت لهذا القلب ألسنة لاسعة
أسأل عنك الليل والفجر والصبح
أصمتك من جفني حلساً ملوناً
لقد وعى الشاعر أنور الجندي جبله ، وهو في بدايات
انفتاحه على الحضارة العلمية الحديثة ، وأدرك مجتمعه ،

وهو في ريمان تطلعه على كل جديد وافتد ، أو منبثق من ضمير الأمة ووجداتها ، فكان له الميدان الخصب ، والمرج الواسع النضر ، يرتع فيهما ويسجل أشعاره ، الكثيرة المتعددة المواضيع - الوجدانية والعاطفية والوطنية ، بفرح وتالق ، ضمن نزعة إنسانية ، ومتحررة ، تقدمه فنيّة جمالية صوب الأدب والاحلى - يضيق المجال هنا ذكر جوانب من إنتاجه المتعدد - وما كادت تحل سنوات الأربعينات حتى نجد انعطافاً جذرياً في تكويناته الشعرية دون أن يخل بمبادئ الشعر العربي المعروفة من الناحية الشكلية ، أما المضمون فقد أضفى عليه من ارادته الوثابة ، وفكره الناضج صوراً ذات مدلولات حديثة ، وألبسه من خياله الطلق انسجة ذات ابتكارات جيدة ، بحيث قراءتك لشعره تمنحك اللحظات السعيدة بين التسامي والظلم بين العذوبة والفرج وتأملاك له تعطيك النهايات الحائرة بين الحزن والغربة ، بين الحنين والقاء ... يبدئك لو سألت لشاعر نفسه من سبب هذا التوار ، لأجابك : أنه وإن كان الفرح يلف وجوده والتفاؤل يكلل جواره ، إلا أنه يشعر في قراره بغربة الوجود : فرثي ، غربة الأثر في السبب ، جفت طسوسه من مسلا أسأل عنك الليل والفجر والصبح ، وأولفك الفرحي فتهد لا أدري والحب نفسه غربة الإنسان في شعاب الحياة ، حتى في غرايات أنور - وهي كثيرة - تشعر معه بمسحة حزينة - والحزن ظاهرة موجودة في الشعر العربي على مدى مصوره ومناحيه - لعلها كآبة أحوال البشر العامة التي لا جدوى من الانفكاك منها ما دام الإنسان هو إنسان له بدايته ونهايته وعلى التسلسل ... والشعر لا بد من أن يحفل في طواياه هذه المسحة الحزينة لأنه خارج من الروح - الإنسان ، يعتمى بها ويستغرق في معناه الأخاذ ..

أن أنور ، من أولئك الذين فتق شعورهم الإلم الإنساني الحزن الإنساني ، الجمال الإنساني ، فهو وإن يكن مترسفاً في تعابيره وأدواته الشعرية ، فإنه كثير الإيجابية تجاه أحواله الحياتية ، أنه يعتقد أن أية صورة شعرية لا يمكن لها أن تنمو أو تتم إلا بفعل الجمال وتأثيره ، لأن الجمال لا يتجزء ، وأن كان يبدو نسبياً في بعض الأشياء ، غير أن الكمال يأتي منه ، بل هو خديته الأوجد ، والجمال الذي يعنيه ليس حسن

- الثانية عام ١٩٤٢ للاستاذ عبد الفني الطري .
(٨) - من مقالة للكاتب نشرت في المجلة العسكرية السورية عام ١٩٦٥ عن الشعر ما بين الحرين العاليتين .
(٩) - من قصيدة طويلة بعنوان (لنحترق) نشرتها مجلة الأدب عام ١٩٥٠ - العدد ٤ مارس ، مهداة إلى الشاعرة نازك الملائكة .
(١٠) - من قصيدة نشرتها مجلة «التواضع» عام ١٩٤٥ - عدد آذار - ٦ - في حواء .
(١١) - تولى إبراهيم طوفان وضع جملته في ٣ أيار عام ١٩٤١ .
(١٢) - من كتاب «شاعران معاصران» إبراهيم طوفان ، وإبراهيم القاسم الشابي ، تأليف عمر فروخ ، دكتور في الفلسفة وعلم الاجتماع العربى في دمشق ، وعلمو جمعية البحوث الإسلامية في يوميات الكتاب طبعه ١٩٤٤ - بيروت .
(١٣) - مجلة أصداء - العدد الصادر يوم ١٥-٢٥-١٩٤٦ - دمشق .

- (١) - من قصيدة «إلى لبنان» نشرتها مجلة الصباح الأدبي عام ١٩٤٢ - دمشق .
(٢) - من قصيدة نشرتها مجلة الصباح الأدبي عام ١٩٤٢ - دمشق .
(٣) - مجلة أصداء - العدد ٢١ الصادر بتاريخ ٢١-١٠-١٩٤٥ - دمشق .
(٤) - من قصيدة طويلة نشرتها مجلة العرفان عام ١٩٤٢ - صيدا .
(٥) - من قصيدة بعنوان «أفق» نشرتها مجلة الأدب - نوا - بيروت .
(٦) - من مقالة «الشعر في مهرجان (أبي العلاء الميري) (الإلهي) للرحمروحم الاستاذ محمد روي فيصل» نشر في مجلة أصداء - العدد تاريخ ٢٢ - ١٩٤٥ - دمشق .
(٧) - الحياة الأدبية في الشام - مجلة الأدب - العدد ١١ السنة

نظمت الشعر

نظمت الشعر لا ابقي نسوا
على شعري ، ولا ارجو مديحا
كفاني اتني لم اوث ميتسا
غنيسا عاش في الدنيا شجيحا
ولم امسح من الدجال شهما
واجمل من «مسيلة» مسيحا
فكم من شاعر قد غاب شعري
ولم اقر له بيتا صحيحا
فرب قصيدة ترضيك لكن
يراهما كل نقاد شجيحا

بوانس ايرس عبد التلطف الخشن

ورقد وانتقال ، واحيانا كانت مرحلة تبديل .. مسح
ذلك فان شعره يمكن ان يكون (محطة) بين مرحلتين .
مرحلة من عاش في البداية بتفكيره ومشاعره زلنى لاسلافه
من الشعراء ، و مرحلة من هجر ارضه ، ونفخ جناحيه من
تروايح وراح يحش بتعلماته جاهدا في سبيل ارضية يحلم
ببقائها .

يقال انور الجندي محطة ، لان ثمة صراعا مازال قائما
بين جيلين او ثلاثة .. اذ ظهر في - الانوات الاخيرة الراهنة
كلام ، وفتح حوار عن الشعر الحديث والمعاصر ، ابهما
اكفا ، وابهما ملائم او يتلازم مع روح العصر ومادته ؟ هل
الحديث المعاصر الانبعاثي او الواقعي او الرمزي ، ام
التقديم العربي الانبعاثي ؟ وهل ان الشعراء ينشدون على
هدى من الشعر ، واساس من النفس ، وبصر بالحياة
الراهنة ، ام انهم يكتبون الشعر كمدلجين خاطبين فسي
الديجور . ؟

ولكن تعدد نوعيات الشكل والمضمون الظاهرة فسي
التدوينات الشعرية المعاصرة لا تدع الجواب على هذه الاسئلة
بمعنى صحتها .. فالحياة مستمرة ، انها تتطور ، وفي كل
يوم يظهر شاعر محدث ... وشاعرنا انور الجندي وقف
في محطته ، وصمت كثيرا .. ولكن المرحلة التي عاشها
وتفاعل معها ، جديرة بالانتباه اليها والاعتناء بها ، لانها
مرحلة تمخضت عن حركات ومواقف شعرية لا تجيز الامانة
الادبية والاخلاقية تركها هكذا .. تفضحل وتفتي مع اوراق
الخريف . .

اسماعيل عامود

دمشق

بعد كل هذا ، تجيء المرأة ...

وللمرأة في شعر الجندي - انور ، المكان العالي ،
والمؤكد .. فلا تخلو قصيدة له من ذكرها حتى انه عندما
توفي (١١) شاعر فلسطين الكبير « ابراهيم طوقان » ارسل
الشاعر انور الى الدكتور محمد خير النوري (توفي عام
١٩٥٢) احد اصحاب مجلة « الامالي » رسالة في اول
تشرين الاول عام ١٩٤١ ضمنها قصيدة عنوانها « احبك »
وهيما الى روح ابراهيم ... منها :

احبك انت الليل والشعر والهوى
واشوشة الاحلام في الفن الشعر
احبك والدنيا يعني هجسة
مطرة الاشواق طيبة النشر
احبك يا كد الشراع على الركب
وميتك في عيني وفردك في نفري
اصحك من وهج الهوى لكائي
اسم لداوات الحياة الى صدي
وتفرق عينا والجلد رلسة
ارق من النداء في شفة الزهر (١٢)
وكلمة « احبك » توحى في شعر انور بالفتل ، وهذا
النداء كان الشاعر الجندي يستسيغه دائما حتى في الفواجع
مع ان الكلمة موجهة كليا الى ناحية الحب ، والحب عند
انور اول الوجود وآخر الوجود بيد انه لم يستعثر بقيم
المرأة وانوثتها ، ولم يك معها ذلك العاشق المرديد ، او
الهاوي الماكن الخليج الضليل ، انما كان معها الشاعر الحق
والرسم البارع ، كان انسانا يفتن بمحاسنها ويتفنى
بدينها الراخرة ، ويفرد لها في عالم مليء بالحنو والقضاء
والوادة .. انه لم يهدف من خلال تعلقه بمفردات المرأة في
شعره الانتقال من واحدة حببية الى واحدة حببية ثانية ،
وثالثة .. اذ لا نجد في شعره تسميات معينة لكثيرات مثلا
وهذا يفسر لنا ان الشاعر غير مبتدل ولا صر في مشاعره
يوزعها هاهنا ، وها هنالك ، بل كان يبتدل بمراسم واحد
هو (فسوز) ١٣

فا فسوز يا حلما شهي الغلى
لسم يتشلى للوجع العثار
نيساك من نسود تهاويله
وحس نسيك الفجع في خاطري
نر ذكراء فاحيا بهما
نوعيات الافراح للذكا (١٤)
ومن خلال اسم فوز - وهي الاثيرة عنده - وشفافية
صاحبه - راي عالمه الشعري وكشف ابعاده ، وقد تميز
تجاه (فوزه) التي رباها مستقلة سليمة من كل تقليد ..
لم ير نفسه (بودليرا) او (بيرونا) او (لامارتينا) .. انه
لم يزور خيالاته ولم يتهاك او يرتع في جحيم الحسب
حطاما ، لا ، ولم يفسده وجود الثقافة الغربية الى جانبه ،
بل كان مستقلا .

كانت المطالعة والثقافة عنده شيء ، والشعر شيء
اخر ، كان شاعرا لا ناظما ، وكان يكتب عندما تلح عليه
الفكرة او الصورة ، ولذا نجد في شعره العفوية والانسراح .
صحيح ان المدارس الشعرية الحديثة غيرت الكثير من
مفاهيم الشعر ، وان الشعر الحديث اخذ يمس داخلية
الاشياء واغوارها ، يكشف حتى عن الانفعالات والحظيرة
الفردية ، انه لم يعد شعر Fantaisie . ومع هذا فان اكثر
الشعراء الشباب - الفتيان ، في هذه الايام الراهنة اخذوا
يدخلون عالم التعميم بحجة التجديد ، بيد ان شعراء مرحلة
انور الجندي وجيله ، كانت مرحلة استكشاف واستطلاع ،

ابن زيدون

شاعر الحب والطبيعة

أقامت وزارة الدولة القريبة المكلفة بالشؤون الثقافية في السادس عشر من شهر تشرين الأول (أكتوبر) مهرجاناً كبيراً في الرباط للشاعر ابن زيدون ، وحي شراحه عديدين في الوطن العربي للمساهمة في هذا المهرجان ، وكلف وزير الدولة للشؤون الثقافية ، الشاعر مرديك الاشتراكي بالمرحبان ، وهذه قصيدته :

عبدننن مردم بك



يتجلى اعجازها في البيان
وهو لي العمر مرق كالأزمان
حقب للمصور ، كل لسان
نشأوى من روعة واقتنان

كشماع ، هو البعيد الداني
في سمو ورفعة ومكان
حين جلوزت غاية الاتقان
دون قيء الظلال والألوان
اللعن نوراً لثقة الألحان
منك أدنى من راحة لبسان

مبيناً عن لاجع الاشجان
وغرب الاشواق من نيران
وتفري بمخالب وسان
دونه الليل ضارب بجران
عن يقين وخبرة وعيان

يتلاقى في غمره الضدان
فاغضت على اذى وهوان
وترقى مسر كل عنان
من رؤوم ، لصبوة وحنان
ان يكف الاذى ونو ثوان

بنغض من التجيع القاني
ما توالي على المدى الملوان

كنت دنيا من الرؤى والاماني
لك شعر على الزمان جنيد
يتفنى بسحره ما تراسست
ويضج السمار في غلى الليل

ان سحرأ جلوته بيان
فله الفز لم يكن بهيبه
وافرت لك الفحول بسبق
صور الختس في فهدك شتى
بعبق اللون بالشسلا ويشع
وجعلت البعيد من كل معنى

اعذب الشمر ما يجوده الدمع
ضقت بالهجر والصدود فاعريت
ووصفت الاشواق تنهش الصدر
مصفت بالعذاب نصف مياب
وسبرت النفوس سبر خبير

عالم النفس كالحيط عجب
ان نفسا بالاسم اخننها اسئل
لترها غدا تحلق كالنسر
وفؤاد عليك بالاسم اخنى
بات يرميك بالعذاب ويأبى

ايها الشاعر الذي خضب اللحن
ان حزنأ اشجاك اعقب خيرا

وشدو الهزار من احزان
من الصيد ومن معان حسان
نشأوى عن مائس فيضان
عقري الاصباح والاردان
ما تفتت ، على ذرى الافان
وبهمي شعاعه عن جمان
فاغضت من دونه العينان
حيثما بكرة السكران

كان مرعى جنادر وحسان
وسال الفدر بالقيمان
انخصب ما نطفت ، قبل اوان
يكف الله الولهسان
لا تراه يكف عن خفان
وكم في سكونه من معاني
لجج للسكون كالشبان
وتبدت في وحشة الوديان
همسات الضمر اس بنان
وغرب الدموع في الاجفان

وكنيت السباقي في الميدان
من حلك طورا ومن العمان
بعبس الاقوار والقيمان
هي والليل غريبا سيمان
مستكثا حذار كل طعان
كريم ، يرضى بعين هوان

ويسمو بلاهج الاشجان
بغير الجراح والاضغان
واندى بمقلة - وجنسان

غشاء ولم يفق ببيان
ويغتر باسمها من حنان
من جلال الخلاق في الدوران
وعند القروب في الفدران
ليس يخفى عن مقلة بمكان
ونشيدا شدت به الشتان

يخصب الحزن بالمعجب من الحسن
لك في الوصف ما يشوق فريد
لحسنا الاشجار دونك تهتر
عظفتها يد الصبا في صباح
وتفتت سواجع من حنين
والصباح الجديد يعصف عن تير
غم الكون بالجديد من الحسن
ويهب التيسيم يعثر بالخطو

اين واد حلتته في قديم
قلت فيه المعجب فانفضى الدوح
ونضت الحياة فيه ، فشاغ
وجعلت التيسيم يعثر ولهان
كل غصن حكى جناح ذبيح
والسكون العميق يزخر بالصمت
يتجلى جلاله ما ترامت
كسم تراءت في دماس من قمام
لكنا بما وصفت لنا
ووقعنا على اللواعج في المصدر

اهو الشعر ما ادوت ام الشعر
نصف القلب في نوازع شمتي
عالم القلب لا يعيط به القسول
تندجى اطيافه عن قمام
يبعد القلب بالتيسيم ويفسي
ان في الراحة الغمول وهيات

اجد القلب كان يخصب بالجرح
قسما بالجراح ما اخضب النصر
فعلام العتاب انه اوجع الجرح

ايها الشاعر الذي ملا الكون
يفهم الكون بالعبر مع الحب
وتدور الافلاك تهتر نشوى
ما اجل الحياة في فتن الفجر
اجد الله حيث يمت نسورا
واراه محبة في ضميري

عدنان مردم بك

دمشق

فأجاب بسرعة :

— الشيخ عامر أيوب ، أنه رجل متقدم في السن يعرف عن القرية كل شيء .

التفت الشيخ عامر أيوب في بيته فوجدته رجلاً جليلاً الظهر لهاديء الجسم بسيط الثياب ، ولا شيء يدل على أنه على شيء من الحيوية سوى عينيه الواسعتين الحركتين . جسمه كله يدل على أنه في نحو الثمانين من عمره ما عدا عينيه فانهما توحيان إلى الناظر إليه أنه في سن الشباب . فاتحته بأمر القرية ، ووجوهه أن يطلني على تاريخها وهي مدينة . فتناول عصا كانت ملقاة بجانبه ، ثم التفت إلي قائلاً :

— هيا نتجول في القرية ساعة با بني لانكمن من أن اتقل إلى ذهنك الصورة التي كانت تبدو فيها القرية وهي مدينة .

قلت :

— تفعل !

مشى بخطى بطيئة يتوكأ على عصاه . وسرت بجانبه على مهل . وكان طول الوقت يشي على تلك الأيام السعيدة التي كانت القرية فيها مدينة مزدهرة ومرحاً لكل ما يحيط بها من قرى . وبعد قليل بلغنا بناء شامخاً مؤلفاً من غرف واسعة نوافدها مزوقة بحجارة ذات نقوش جذابة . وكانت الدرجات التي تؤدي إلى بابها الكبير مصنوعة من الرخام . ثم أشار بسبائنه المعروفة الجافة قائلاً :

— هذه الدار كانت محكمة صلح يحكم فيها الاهالي .

الفت نظرة سارحة على ذلك البناء الشامخ ، فرأيت بعض نوافده مفلقا بذنات من خشب أبيض رخيص غير مكسور ، وقد تلبد على درجات البناء الرخامية تراب قذر ووحل . وقد لصقت به حجرات بيتين بالطين المزوج بالقش أعدت مربطاً للدواب . وكانت بعض دجاجات تصعد الدرجات تارة

مرسوفة بالحجارة الصلبة اللساء ، ولدت بجانبها طرق ضيقة ملتوية ؟ لماذا بدت هنا حدائق منظمة الاشجار مرتبة الاحواض مسورة بجدران يدل على ذوق سليم في عقلي مهدسها وبانيها ، بجانب حواكير تضم اشجاراً يعوزها الترتيب والتنسيق ؟ أن سكان قرية « س » من القرويين الفقراء والمتوسطي الحال وليس بينهم مديون أو قرويون لظفر درجة رفيعه مسن الثقافة والفني الواسع . مراراً فكرت في أمر هذه القرية العجيبة ، ولكن تفكيري لم يهني إلى الحقيقة . فلم أجد بداً من أن أفاتح احد سكانها بهذا الشأن فقلت له :

— عجب ! ان دور قريبكم متباعدة

بقايا مدينة

بقلم عبد الحميد الأنشاصي

اذ منها ما هو ممتاز في بنائه وشكله، ومنها ما هو على عكس ذلك . فما السبب ؟

فهز الرجل رأسه في تألم وأجيب بصوت منخفض حزين :

— ان لهذه القرية تاريخاً . لقد كانت مدينة عامرة . ولكنني لا أعرف تاريخها بالتفصيل وهي مدينة . فالتفت على الرجل نظرة استفراب واستطلاع وقلت :

— وهي مدينة ؟! وهل كانت فسي ما مضى مدينة ؟ من الذي يعرفها حينما كانت مدينة ؟



كنا جالسين تحت شجرة من اشجار المشمش نمرح ونضحك ونحدث عن اشياء مختلفة . واخيراً استقر حديثنا على موضوع واحد وهو ان يسرد كل منا اشد الحوادث التي مرت في حياته تأثيراً في نفسه . وكانت اقرب حادثة سردت تلك التي حكاهم الأستاذ حسن بصوته الهاديء العميق والفاظه البسيطة الصافية المؤثرة . قال :

صدر امر ينقلني مديراً لمدرسة قرية « س » الابتدائية، انني لم ازر تلك القرية من قبل . لذا سألت عدداً كبيراً من اصدقائي : كيف احوال تلك القرية ؟ وهل تصلح لسكنائي ؟ فاجابني كثيرون منهم انها كثيرة الخيرات والنبابع والبساتين ، وانني ساقضي فيها اياماً حافلة بالمسرة والراحة والهناء . وهذا ما طمان نفسي وحداني على ان احرم امتعة منزلي واسافر اليها انا وافراد اسرتي .

حينما استقر بي القام في القرية بانخاذي احدى دورها مسكناً لسي ولاسرتي ، وبمباشرتي الاشرايف على التدريس في مدرستها الابتدائية . رحلت اتجول في القرية وحولها . فبدت لي كثيرة الخيرات والبساتين كما اطماني اصدقائي ومعائني . لقد نقلت الى عدة قرى من قبل ودرست في مدارسها ، ولكنني لم اجد بينها قرية واحدة شبيهة بهذه القرية . موقعها جميل مظل على ما حولها من هضاب وأودية . سكانها من الفلاحين وبعض بيوتها بشعة كبيوت غيرها من القرى . ولكن فيسها مميزات غريبة : ذلك الجور الفاضل الذي يحدق بها . جوها هاديء ولكنه يوحى الى النفس بالتأمل والتفكير كأن أسراراً كائنة في حجارها وترتها واشجارها وطيرها . كان هذه الاشياء تريد ان تبوح الى الزائر الغريب بأسرار وتطمعه على اخبار . لماذا قامت تلك الابنية الشاهقة المذنية الشكل بجانب تلك الابنية البشعة القروية الشكل ؟ لماذا بدت هنا طرق واسعة مستقيمة

طويلا مؤلفا من نحو مائة حانوت . وكانت ابوابها مغلقة بالطين . فقال الشيخ علم وهو يشير اليها بمصاه الفيلطة :

انظر . هذا سوق باعة الاقمشة . لقد تحول كله الى دور يقيم فيها المزارعون . اغلقت جميع ابواب حوانيته كما ترى . لم يبق الا حانوتان هناك .

لم خرجنا على سوق اخر البقالين مؤلف من نحو مئة وخمسين حانوتا مغلقة الابواب بالطين كسوق باعة الاقمشة . وقد علمت ان تلك الحانوت تحولت ايضا الى دور يقيم فيها الفقراء . ولم يبق منها الا خمسة حوانيت . وبعد ذلك مررنا في سوق الجوارسين وهو مؤلف من خمسة عشر حانوتا ، ولم يبق منها سوى حانوت واحد . اما الباقي فقد تحول الى غرف . وقد رأيت بقرات تسير على ارض السوق المروسة بالحجارة الصلبة هائرة رؤوسها في خيلاء وضاربة الارضس باطرافها القوية بلا نظام كأنها افراد جيش مسرح .

ولما خرجنا من السوق فصرّب الشيخ كما يكف لم تنهد وقال : — وهكذا اختفت تلك المدينة الحبيبة ، وحلت محلها قرية صغيرة . فقلت متعسرا :

— لا حول ولا قوة الا بالله . عدنا الى دار الشيخ عامر كأننا مدنا من جتارة . ولما جلسنا في احدي حجرات داره اعد القهوة ، ورحبنا نحسوها في ذهول ، بينما كان الشيخ عامر يسرد علي قصة القائمقام حسني القادري . قال :

— كان في العهد العثماني شاب مثقف مهذب اسمه حسني القادري . لقد انتدب من اسرة مرفقة من اهل المدينة . ونظرا لذلكه وثقافته ودماثة اخلاقه عين قائمقام هنا . كان مثال الرجل الصالح في تصرفاته مع الناس والتقدير في ادارة عمله ، والواسع العقل الخلف في اسداء النصح الى الاهلين . كان يظني على الزراع محاضرات كلفاكر وفائدة ، فأرشدهم

اليه وحشة بل اكسبه هيبة ووقلرا يكادان يرغمان الزائر على حني راسه اجلالا .

التفت الي الشيخ عامر قائلا وهو يصوب الي نظرة حالة سارحة ذاهلة : — ان هذا البنيان كان سرايسا للقائمقام حسني القادري . فقلت :

— من هو حسني القادري يا عمي ؟ فقال :

— سانبئك بامره فيما بعد يا ولدي ان له قصة طويلة سأسردها عليك حينما نعود الى الدار . هناك نشرب



عبد الحميد الانشاصي



القهوة معا واطلعت على الحقيقة المرة . ان هذا البنيان لا يقيم فيه احد . انه منلق . لقد اغلق منذ تحولت المدينة الى قرية . ستعرف كل شيء فيما بعد . فقلت :

— ولكن كيف تحولت المدينة الى قرية ؟ ما السبب ؟ فاجاب :

— هذا ما سانبئك به في داري يا ولدي .

وامعت النظر في عينيته فرايت في كل منها دمة حينسة تترقق . وسار بي متوغلا في القرية . دخلنا سوقا

وتعيط عليها اخرى باحثة عن طعام لها . وكانت هناك ثلاث عنزات ترعى في شرة كأنها علقات لاصقة ينسقب واردة . وبينما كنت اتأمل البنايعال لي الشيخ عامر :

— انها الان دار . تحولت الى دار يقيم فيها مختار القرية .

لم ابتعدنا عن الدار وواصلنا السير . وبعد قليل توقف الشيخ عامر قائلا وهو يشير باصبعه الى الطبقة العليا من عمارة ضخمة :

— وهذه الغرف العالية كانت تستعمل من قبل دائرة الزراعة .

اجلست بصري في اعلى العمارة فرايت كومات من القش تدلى بعضها من سطح العمارة ، ورأيت لطلحات من روث البشر لاصقة ببعض جدرانها المحاطة بزنار من حجارة متفوشة نقشا جميلا . ثم قال الشيخ :

— انها الان مسكن لبعض القرويين لم تنهد ، وتنهدت انما ايضا . وبعد ذلك قلت :

— يا للخسارة ! وبعد مسيرة عشر دقائق وجدنا نفسينا امام بنيان ضخم رائع الهندسة تبين لي ان كل جزء منه بقي على حاله لان حجارته وخشب ابوابه ونوافذه وزجاجه لم تتغير . ولم اسمع صوبا ينبعث من داخل البنيان . وقد نبئت أمامها اشجار سامقة من السرو . وكانت درجاته من الرخام المصرق الثمين . وكانت الطيور تنتقل بين الاشجار مفردة مصفقة باجنحتها . لقد خيل الي انها هي وحدها تقطن في ذلك البنيان . وكانت اشجار السرو تهب رؤوسها في كابة حينما تهب الريح عليها . وكان ينبعث منها همس حزين يذكرني بالايام التمسمة التي مرت من حياتي . وقد بدا بجانب باب البنيان الواسع عمودان ضخمان من الرخام متوجان بزهريين كبيرتين من الرخام ايضا كأنهما حارسان قويان يحرسان الموظف الرفيع القام الذي يقيم فيهم ان كان هناك موظف . وقد لاحظت ان الهدوء الذي احلّق بالبنيان لم يجلب

وحداهم على العناية بأراضيهم حتى تحول بعضها الى جنت دوات النهر شبيهة ، وتحول بعضها الى حـمول حافلة بالوان الجيوب الجيدة . وكان يلقي كذلك محاضرات بحث فيها الاهالي على الحاق ابناءهم بالمدارس ليتفهموا وابتلعوا : فضافت التلاميذ مددا ، مما حداهم فتح عدة مدارس في المدينة منها الابتدائية والثانوية . وفضلا عن ذلك فقد كان شاعرا بارعا ، تعنى بجمال الطبيعة الساحرة الذي أحرق بالمدينة في قصائد رائعه استظهرها كثيرون من متلمي المذبة وتناقلها الناس ، وما يزالون يرددونها حتى الان .

لم تنتف الى الشيخ عامر قائلا :

ـ هل انت مصغ يا ولدي ؟

فاجبت :

ـ أجل . ام . ام يا عمي . اني مصغ كل الاصفا .

وواصل حديثه قائلا :

ـ لقد كان حسني بك موضوع الحديث في الاندية والمنازل والفتوات والشوارع والأسواق . وذاع صيته في القرى المجاورة حتى في المدن القريبة كل احبه واحترمه واستشاره واستأجر برأيه . كان ابن المدينة البار وابسا الاهالي الرخم . ان الفضل يرجع اليه في كل ما ازدانت به المدينة من تقدم وعمران . ولكن رجلا كهذا لا يسلم من الحساد يا ولدي . واكبر حساده المتصرف ـ المتصرف حسام بك . لقد آله ان يعود الفضل في تقدم المدينة الى حسني بك . افراد ان يكون هو صاحب الفضل لكي يرتقي الى منصب أعلى من منصبه . ولذا ناصب حسني بك العدا . لقد بنفسه ، وتمنى موته ولا سيما بعد ان سمع ان الاهالي يشيعون ان حسني بك أولى بقلب متصرف من حسام بك ، وان هذا اجوف فارغ لا يفهم شيئا . مع ان حسني بك لم يطعم الى ذلك المنصب ولم يسع اليه ابدا .

لم توقف الشيخ عامر عن الحديث وسرح امامه نظرة طويلة . وبعد ذلك شرب ركبته غربة عنيفة وقال :

ـ وهنا المسيبة . هذا هو اصل البلاء . كان المتصرف ابنة اسمها جميلة ، وكانت على جانب عظيم من الحسن . ناصعة البياض ، دجباء العبير . كانت كالعاج في لونه وجيئة ذكية ومثقفة كحسني بك . ويقال انها كانت تطالع كثيرا من الكتسب الادبية كحسني بك . كانت تتلوق الشعر والقصص . ويقال ان بعض القصائد التي نظمها حسني بك في جمال الطبيعة قد تسربت الى يديها ، فقرأتها في لذة واعجاب . وجميلة فتاة بكر ، وحسني بك شاب عروب . وقد علمت ان الفتاة كانت تفكر في حسني بك ، وانها كانت تشتاق الى رؤيته . ولكن حسني بك لم يكن يفكر فيها . كانت اعمال وظيفته واماله الخيرية ومطاماله شاغله الوحيد . وكذلك حسام بك فانه لم يخطر في باله ان ابنته وقمت في هوي حسني بك من بعيد .

نوقف الشيخ عن السرد وقال :

ـ هل آت متي يا ولدي ؟

فاجبت :

ـ لا لا الان . ام يا عمي . انها وواصل كلامه قائلا :

ـ في ذات يوم قدم حسام بك هو وزوجته وابنته المدينة بقصد الاصطياف فيها ، فقد منع المتصرف اجازة مدتها ثلاثون يوما لقضائها في بساين المدينة ترفيا عن نفسه . كان معجبا بموقع مدينتنا ، ولكنه لم يكن معجبا بأهلها ، فقد ساءه ان يشوا على خصمه حسني بك وهو قائمقام ووثوقته عليه وهو متصرف . استاجر المتصرف دارا انيقة في بستان حافل بالوان الأشجار المثمرة لمدة شهر . وكان على مقربة من الدار التي يقيم فيها حسني بك . وقد علمت من بعض اسدقائي ان جميلة هي التي اقترحت على أبيها ان تستأجر تلك الدار لاقامة فيها طول مدة الاجازة . وقد استشار المتصرف حسني بك في هذا الشأن فوافق على استئجار الدار دون ان يدري ان ابنته هي التي اختارتها .

وكان المتصرف يقضي بعض الليالي الساهرة في منزل القائمقام . وكان هذا ايضا يقضي بعض الليالي الساهرة في منزل المتصرف . الا ان حسني بك لم يتصرف بزوجة حسام بك وابنته فقد حال الحجاب دون ذلك غير انه لاحظ ان جميلة كانت تصوب اليه نظرات حددتها لوعة الهوى . وكانت كلما خرجت هي وابوها وامها من داره تتأخر عنهما ثم تلتفت وراءها وتنظر اليه . كانت عينها باديتين ، فان الحجاب الخفيف الذي لفته على وجهها انتهى اقلاه على انفها ولم يستر عينها . سحرته بعينيها الدمجوان ويشعرها الامس الذي ظل جبينها الابيض بسحب من طرده السود . وقد تعاونت عينها الفانتان وقوامها الرشيق وهي تسير ولفاتها المغرية على اجتذاب قلبه اليها ، رأى شيئا جديدا في حياته . انها المرة الاولى التي اهتمت بعينها فتاة هذا الاهتمام وغمره بجها وجراتها واغرائها . لم يزل ما بينه وبين ايها من خصومة دون مبادلتها الحب . لقد أصبحت عزيزة عليه . كل ذرة من جسمها كسات وتكونت في ظلال النعمة والدلال ومن القذا الجيد وحتت اللباس الناعم . انها لمنية في كل شيء . في نشاتها وثقاتها وذكائها وجمالها ودلالها . انها شبيهة بقطعة من الماس . من يعطي قطعة من الماس ويرفضها ؟ قل ، هل يرفض شاب فتاة كهذه ؟

فاجبت :

ـ كلا . كلا بالطبع .

وواصل حديثه قائلا :

ـ وفي ذات ليلة دخلت جميلة دار حسني بك على غير موعد بينهم . وحسنا نزع الحجاب من وجهها ، ورأى حسني بك ما ادخرته له وراءه نسي والدها ولم يفكر في عاقبة جراتها وجراته ، وضما الى صدره في شوق ملتهب . وتبادل الحبيبان قسلا مصولة . وحسنا عادت جميلة الى دارها وجدت أمها يظقة . فونختها على خروجها من المنزل ليلا . وبعد

طلعت افراح الفواية

لا خلعت على الدجى اينى
كل الشفاه رقصه البين
ربى ، ولم اركن الى المين
ان يرتوى من راحة العين
كل الفاصل دونما شين
منه الرضا في ساعة الدين
حتى غدت كفحمة القين

آيت وارهام احمد بلعاج

صارت شמוש الله في عيني
واصفر وجه الله ، وارتعشت
طلعت افراح الفواية ، يا
اتى لائم فار مشتتلا
فالنور في روحي تقبله
يا خالقى، انت الذي ارجو
صن عورتى، فالوؤد اوّلنى

مراكش - المغرب

التحقيق معها أدركت ان جميلة
خرجت للقاء حبيبها حسني بك .
وفي اليوم التالي لحث زوجها الى ما
بين جميلة وحسني بك من علاقة
غرامية ، مسخط على القاتعالم وحقد
عليه . ضرعت جميلة الى امها ان
توافق على الزواج بحبيبها حسني ،
وحاولت الام ان تقنع زوجها بذلك،
ورفض وقد صمم على الانتقام من
حسني بك . وبعد مضي بضعة ايام
بدا اهل المدينة يتهايمون بالعلاقة
الغرامية . ومنهم من تهكم ومنهم من
سخر . فحقد المتصرف على اهل
المدينة اجمعين . واعتزم ان يسعى
لدى الوالى لنقل جميع دوائرالحكومة
الى مدينة اخرى تبعد عنها نحو
ساعتين ، ولتجريد حسني بك من
وليظيمته .

فلت للشيخ :

— ان المتصرف مجرم .

فقال :

— ما في ذلك شك اذ كان في امكانه
ان يبرح حسني بك بانيته فينحول
ما بينه وبين القاتعالم من مداوة الي
صدقة وقربة .

فلت :

— هذا صحيح . وبعد ذلك ؟

واستمر الشيخ :

— وبعد ذلك انتهت الاجازة ، وعاد
المتصرف الى مقر عمله . واخيرا
صدر امر من الوالى على لسان
المتصرف بنقل جميع دوائر المدينة
الى مدينة اخرى . فخيم الصمت
والكآبة والاستغراب على الاهلين ،
واخذوا يتساولون : ما السبب ؟ماذا
جرى ؟ وفي خلال اسبوعين تم نقل
جميع الدوائر . ولم يكف المتصرف
بذلك بل فصل حسني بك من منصبه
وراح يشجع الاغنياء والتجار وذوي
المصالح على الرحيل الى المدينة التي
نقلت اليها دوائر الحكومة . ولم يبق
ههنا الا الزراع البدينين لا

يستطيعون ان يعيشوا بعيدين من
اراضيهم ، والعمال الفقراء الذين
تعودوا العمل في تلك الارض . وهكذا

خلت المدينة من رؤوس الاموال
والطقة المثقفة المفكر ~~ومحب~~ الوظيفين
الكبار والصغار من الجار على اختلاف
مهمهم ومن الصناع على اختلاف
هنائهم . وبذلك أصبحت المدينة
مكونة في شكلها ~~عليا~~ في حقيقتها قد
فقدت مهجورة اراكلة الحركة كالمها
مقبرة تضم ضروجا ضخمة يرقد فيها
ابطال كانوا قد اكتسبوا مجدا وهما
في حياتهم .

فقلت مثلا :

— يا لله ! هذا عظم . كل هذا من
اجل فتاة احبت شابا ؟

فقال :

— المفروودون والظالمون في الدنيا
كثيرون . اما الفتاة فقد حر في نفسها
ان تحرم الزواج بحبيبها ، وان يبلغ
بابها السخط والغضب مبلغا يجرد
معه ذلك الحبيب من منصبه الرفيع
وان يجرد ايضا مدينة بأكملها من
دوائرها وعزها ومجدها فتحول الى
قرية لا يكثر لها احد . وهذا ما
جعلها تعيش عاكسا حزينة طويلا
حياتها .

فقلت في تحسر :

— مسكينة !

وواصل كلامه :

— اما حسني بك فقد اتصل
بالمراجع العليا وبذوي النفوذ من
اصدقائه مرارا تارة بالوجهة وطورا
بالرسالة لكي يعيد الى المدينة مجدها
الفاير ، ولكن محاولاته ذهبت سدى .
اما السرايا التي كان يعمل فيها حسني
بك فقد اقلقها الاهالي ولم يستعملها
منهم احد ، وظلت لذلك لذلك الرجل
العظيم يتردد اليها الاهالي من حين
الى اخر ليقضوا في ساحتها ساعة
يتذكرون فيها مجد مدينتهم الفاير ،
ويقكرون في الوسائل اللازمة لتحويل
القرية الى مدينة . انني ارى القرية
كشخص كان في عز وجاه ثم اضحى
فقيرا لا يملك شيئا . ان الانسان
يحتمل كل ما في الدنيا من المصائب
والكوارث الاشينا واحداهو الانحدار
الى اللل والفقر والاهمال بعد عز
ومجد واحترام . هذا ما يشوه الدنيا
ويجعلها يشعندمية في انظارنا، وليس
الموت الذي تنتهي به حياة الانسان
ولا الفقر الذي يلزم صاحبه . ان
هذين طبيعتان . اما اللل بعد العز
فشيء غير طبيعي تنور منه النفس
وتأباه .

عنان

عبد الحميد الإنشاسي

صحته وموهبته تلك الضريبة الباهظة ، التي طالما دفعها
تظاهرة من المفكرين والتواضع ، حتى كان ضحية من الضحايا
يمسدها ضرام الأبد ...

كان بينما اثر عودته من مهجره السحيق بالبرازيل الى
قريته الامنة : جبيل بلبنان ، أسرة عقلية ووجدانية ،
حاله خيوطها الادب الجميل ونحن نشرب مائه من ينبوع
واحد ، ونستمد منه ما يعيننا على مجابهة ضربات الزمن
وهو في الوقت ذاته ، يؤلفا بين مزاجينا الى حد قصي ..
ان يكسد طرف الاخاء فقلنا نفسد ونسري في اخاء ناله
او بخلك ماء الوصال فقلنا عذب بعدد من لمسام واحد
على تلاحق الايام كانت الرسائل الاخوانية ذات الصبغة
الادبية الرومانسية ، متبادلة بيننا . كذلك الكتب والمؤلفات
على سبيل الاهداء والاعتزاز ، كلما يسرت ذلك ارادة
الاحوال المعقدة المحيطة بنا من كل طرف .

فقد كان شكر الله الجر يحثني في كل ما هممه من
قضايا الفكر والثقافة ومشكلات الحياة والمجتمع ، ولا سيما
الادبية والعاطفية ، حديث الند للند ، لا كلفة بيننا ، ولا
تقوم حواجز مصطنعة دوننا . قلبه مفتوح ، يتنسم ويتنم
بتفتي ويتشوق ، والذكرات تلونه ، والسالفات من المهود
تشره في حين ان عقله يمي الصوت والصدى ، قريبا وبعيدا
ويتقبل الاهداء من حوالبه صاخبة وهادئة ، وهو رابط
الحاش ، لا يفعل لشيء الا بمقدار ما يقضي ، لا يفعل
شيئا لسبب او لغيره ...

أذكر قلبه كثير من الصقاق والوقائع عن طريق التامل
الباطل وزرني اركان الوجود والصوت على عكس الاخرين
ممن عرفهم او تعرف اليهم . تلك اولى الخطوات في سلم
الوجود والتجديد الذاتي . ثم رفض بافتتان اسطورة الالم
والهم بالرغم من المرض الذي رافقه طويلا في رحلة الدنيا ،
واحجم عن القنوط والانغلاق تمشيا مع مبدأ الايمان
بالجمال السرمدى ورجوعا الى الطبيعة التي تقهر ولا تقهر ،
متخلقا كطفل على سجيته ، ولو عاش وحيدا لا تناجيه
سوى ذاته المنتشية .. السجينة في درب التفرد والتوحد ..

بينما هو في واقعه المعاش قريب منك . يثك خواطره
وسوانحه من غير تخرج وتردد ، ويهرق عصارة لؤذاه ،
ويلقي بأوراق تأملاته برشاقة الاسلوب الشعري ودرجاة
العقل الانساني .. اية صفونية ثرية او شعرية هذه التي
تملك عليك قلبك ، وتسو بخيالك وتوغل في افوارك ، ثم
تدعوك على قدر ما ، مشاركا .

هنا سر خلق الشاعر شكر الله الجر ، وروعة حياته
الادبية وطبيعته الواقعية . اسمه يقول وهو يعزني ب وفاة
ابي : « آتني ما ورد في رسالتك من الم صدع قلبك ب وفاة
والدك . اسكنه الله جناته . وان يكون له سكنا في غيرها .
لان تلك الارواح الطاهرة التي علنت ما علنت من مفضي
الدهر في سبيل اسرها لتكون على احسن حال واهنا بال
لهي ولا شك من سكان الجنة وقد كان ذلك شأن ابيك وابي .



وحيد الدين بهاء الدين

شكر الله الجر كما عرفته

لحم وحيد الدين بهاء الدين

اذا كان شعراء المهجر الشمالي والجنوبي ، ادركوا قيمة
الحياة والوجود والغاية منهما بقدر ما اعطتهم طائفتهم
الحسية والروحية ، وبما اوتوا من قلق مرهق وروية
نافلة ، فان بينهم من ادركهما على نطاق اعلى واثق ،
بسبب ما عرشت له من محسن وتجارب ، وقدر له من
احتكاك وتلاحم ..

انما كان شكر الله الجر على هذه الشائكة المتميزة ...

انا ابن الابيض الزهراء والشامي الجميل
انا ابن العرف والجيد والفر والفكر الصليل
انا ابن السنديين الضخم والصور النحيل
انا ابن الماء والصفاء والنيل القليل
اتني يسا ايل اراسي اللاحود
اتني يحس شواطيبي بسروك ورسود
اتني صبح لك من منزل الشمس يرد
اتني دهر ميماليه نحوس ونسود
اتني جسود من الكون وببيت من قصيد
مستندا من جراحا لي لاوتاري نشيد

اهيجت بهذا الصحن الرائد ، والشاعر التاملي
التفكير ، الشجي النبرة ، وقد اسلم قياده لصبوات الحياة
وشهواتها غير ملتفت لما تخبؤه الايام من غلدة وصارفة
عائليا ما بناه السبعين عاما ، كما توخى وتشهى .. ما
دامت الدنيا هي الدنيا لا عودة لها ، ولا جدوى من التحسر
على ما فات منها وانذر .. !

اغتنمها فرصا زائعات ماتعت ما وجد الى ذلك سبيلا
وهو يشغل بدوره المحدود بما ملك ، ثم راح يدفع عن

السائدة بالوان مبتكرة من الحياة والفن .
 فقد نشرت عنه فصلا ادبيا عنوانه « شكر الله الجرج »
 شاعر التاملات والتطلعات » على صفحات مجلة « الاديب »
 الزاهرة (١) . ما ان اطل عليه من عشه الهادي بجيبسز
 وقرأه بتبصر وندبر ، حتى بادى بالكتابة الي شاكرا وطرفة
 الفكرة التي عاجلتها وعرجت عليها باهتمام ، من وجهة
 نظر اخرى ولكنها عامة ، فقال في رسالته المؤرخة : ٢١ -
 ٥ - ١٩٧١ : « شكرا جميعا على الكلمة البليغة التي توجت
 بها شعري ونشرت في مجلة (الاديب) الفراء . قراتها مرتين
 ولست جهلك الكريم في اخراجها بلفتك الانيقة » .

وايقالا في شكره على ما توحيت وذكره لسان نويت ،
 ضمن رسالته تلك هدية هي احدث صورة له ، وعليه
 مقلوته : « تذكر مودة واخرة تبيلة الى القلب الكبير والقلم
 المدع . الى اخي الشاعر جريد الدين بهاء الدين مع طيب
 تمنياتي واجملها » . كذلك ذكر في اخر رسالته : « اما
 رسمك الكريم فانظر ان يحل وان يحتل مكانه من مضدي
 وقلبي كما هو الواقع » .

قاهديته صورة من صور الايام الغابرة للتحية المتبادلة
 والذكرى العزيزة .

ثم تراءى الي ان دار « الفصاد » الحلبية بعث اليه
 بنسخة من كتاب لي تولت طبعه ونشره وعنوانه « شخصيات
 من الادب المعاصر » تقديرا لمكانته الادبية . فما كان منه الا
 ان كتب فرحاً وبهيب من قلبه ، وكيف لا والكتاب اضافة
 الى ما فيه حظير على نصليين مسهبين من صديقين له من
 شتراء المهجر الكلدان كما : جورج صيدون وشفيق معلوف
 واذا بي اسلم منه رسالة يقول فيها : « لما كتبتك شخصيات
 من الادب المعاصر فهو من الطراز الاجمل والابديع من نواح
 كثيرة اخصها الناحية التحليلية لادبهم ولا اكتفك امجابني
 بأسلوبك الشيق وهو من السهل الممتنع يجتذب القارئ
 اليه ليقرقه في لبح من بيانك الانيق السمح . وفلك الله
 وابلاك نجما من نجوم الادب الشعة الناقلة ليبتى لنا منك
 ذلك المنهل الصافي العذب نحوم عليه تحوية الطيور على
 الماء النير » .

على ان الفزلة التي يحتلها شكر الله الجرج بين معاصريه
 شاعرا وناقدا .. قصاصا وصحفيا ، اكسبته شهرة رفيعة
 وترامت باسمه في ديار المهجر الشمالي والجنوبي ثم الوطن
 العربي . وكان طبيعيا ، والحالة هذه ، ان تنهات دور
 الطبع بعد عودته الى لبنان عام ١٩٦٢ ، على اعادة نشر
 بعض مؤلفاته المنسمة بفنصاير الجدة والتمعة ، وبطوابيع
 الرومانسية والتأملية . اذ جعلت دار الثقافة هناك تسأخذ
 على عاتقها نشر ديوانيه : « اغاني الليل » و « من خوابي
 الزمن » وروايته الرائعة « جزر الخطيئة » الصادرة قبل
 ثلاثين عاما ، وبها تشابك الاجواء الواقعية المفرقة
 والرومانسية الحالية ، في أسلوب شعري مترسل خلوب ،
 وتجتلي عبرها النظرات الفلسفية الشاملة الى الحياة والناس

ولا اغالط نفسي فيما اعتقد لان الله رحمة ومجبة ولا ان
 اكرم لديه هم الابهاء الطيبون الاتقياء . وعلقتا على هذا
 رجائي اليك بان تلطف من حزنك على الراحل العزيز وتخفف
 من لوعتك لان الاسف العميق والدمع الطليق على من ترك
 الدنيا يسيله ويكرهه . واتي من هذه الناحية على عقيدة
 الروحانيين وهي العقيدة المنتشرة كثيرا في البرازيل وسيما
 العاصمة (ريو ده جنيرو) وفيها ما يقارب المليون ادواني
 ممن ليسون البياض على امواتهم ولا يتلقفون بكلمة الموت
 بل يقولون على الميت انه استراح .. اعاضنا الله بسلامتك
 يا اخي وسلامة اسرتك الكريمة ولعل الصلاة يا اخي افضل
 ما نقدمه الى الراحلين هنا من احبائنا » .

كذلك يقول شكر الله الجرج في رسالة اخرى من رسالته
 الي ، ما يؤكد موقفه الثابتة ويمرر وايه الخاص : « كما
 افعمني قولك انك كنت تعيش معي في ديواني (اغاني الليل)
 وان تتعاقب الايام في فضاء قصي السرى من افساني
 الوجدانية واتا جائم على تلك الضفاف السحرية من مدينة
 الحب والجمال (ريو ده جنيرو) اوقع الحاني على قيسارة
 حرشت الايام اضلاعها وانحلت اوتارها لفرط ما لامستها
 تأمل الالم في حياتي . وهذا ما جعل مني سعل حد قولك .
 نسبح وحدي بين شعراء المهجر » .

وكتبت يومئذ كما ابرح اواصل نشر فصولي الادبية
 على صفحات مجلة « الاديب » الفراء والخاصة بمقتضى
 انطاب الفكر والشعر ، الذين استطاعوا ان يحتلوا مقارهم
 واسهموا في تشييط الحركة العقلية والفنية والتجريبية
 مجرأها الى ما يجدي امة العرب في تطلعاتها وتشددها للفرق
 الاجنبي ولا تدبر في الظلام من مؤامرات للتناقض على
 تاريخها وتراثها » .

ويبدو ان شكر الله الجرج جعل يستحسن ما انتشر
 من مقالات ودراسات ، ويتجاوب معه نفسيا وفكريا، ويانس
 بما اركز عليه واليسط فيه .. ولعله اراد ان لا يبقى صدى
 ذلك حبيسا يتروى في خبابه لا يخطاها دن اربوح به
 في رسالته التي ارسل بها الي في يوم ٨ - ٥ - ١٩٧١ :
 « اما تقديري لجهودك الادبية فوافر وعميق لا سيما هذا
 المحاسن الاصيل للادب النابع من تاليف روحك المنسمة
 بالوان المفاهيم الادبية تؤكدنا بحوثك القيمة في متنوع الادب
 الاالي عاجلتهم يراعتك الانيقة على سماحة ورحرة وسعة
 اطلاع . وهذا ما اهتلك عليه وهذا ما يبرش بأفانق واسعة
 في عالم الادب تطل منها على تربع دائم الاضراس في نفسك .
 وفقك الله وشرع في وجهك المهام الرحبة للوصل بمطامحك
 العالبة الى اللروة » .

اعجابي بالتانين من شعراء المهجر وادبائه ، حملني
 على ان اكرم شكر الله الجرج بمقال تحليلي لم يطرق من قبل
 اوفيه فيه بعض حقه ، ما دام حريا بان يكتب فيه لا كلام
 مختصر او معلول نحسب ، بل دراسة عامة تتناول حياته
 وشعره والره في تطعيم الشعر المهجري بروح الحياة الجديدة

والوجود ، كما تتعادل في سطورها صور الأشياء ومعاني
الأضداد ..

حتى اذا ادركتني نسخة من هذه الرواية هدية من
شكر الله الجبر واخذت اعي قيمتها الفنية كآثر ، من الآثار
المتعة ، وانتقلت في مضمونها الى المفصلة عن كل لوحة من
لوحات هذه الدنيا ، هومت الى القرطاس افرغ فيه انطباعي
الذاتي منها وراي الخاص فيها ، يقينا مني بان الرواية
برزت كثيرا من الروايات التي امرها الادب العربي قس
المهاجر الاميركية ..

قلت في ما قلت ، موجها رسالتي الى شكر الله الجبر (١٢) :
« انتهى الى كتابك (جزر الخطيئة) في الوقت الذي اعيش
فيه ممل مقلًا وقلبا وروحًا ، اعيش مع شعرك الرقيق
العذب الصادق الخالي من الدجل والشعوذة والتكلف
والترلف .. اعيش مع (افاني الليل) التي اشدو بها كل
يوم بعض الساعات لا قول فيك - بعد ان سحرتني هذه
الشاعرية التي لم اجدها لدى أكثر شعراء المهجر الجنوبي -
كلما جذيرا بك في القريب ان شاء الله . اما (جزر الخطيئة)
مسيكون لي معها شؤون وشجون لدى الانتهاء من مطالعتها
وقد قرأت منها الفصول الاولى ، وهي من الروعة في المستوى
الرقيق . فيا اخي انت صريح وهذا هو الشيء الرائع ..
هذا هو الفن في اصالته وصدقه وتحرره من قيود العادات ،
والصدق بعد ذاته هو الفن ، ولعلني صادق الى حد كبير
في قولي : ان حقيقتك وحياتك يمكن استخلاصهما كما يجب
ان يكون الاستخلاص من اقصا صيغ (اجازتك واختصارك
المطلوبة . وهناك قلة من الشعراء والفنانين في ادبنا يصح
ان بعد انتاجهم صورة واقعية صريحة ارقامهم ... »
وعلى امتداد الايام كانت صلتني بشكر الله الجبر وطيدة
ببلورها المشاركة العقلية والروحية نارة ، والثقة المتبادلة
تارة اخرى ..

فعلى هذا الاساس وحين استقام لدي كتاب ادبي
ينظر الظهور ، رغبت الى شكر الله الجبر ان يتوسط لي
لدى احدى دور النشر بلبنان ، يربط بها ويعتمد عليها
لعلها ان تتولي اصدار كتابي الجديد واخرجه الى حيز
الوجود ..

حيث جازني جوابه المؤرخ الماعشر من اذار ١٩٧٣ وفيه
يلكر بالحرف الواحد : « هذا ما اوقفني يا اخي من الرد
على كتابك السابق .. وكما اكون سعيدا لو تمكنت خدمتك
هذه لانك بآدابك وفكرك النسير تستحق كسل مناصرة
وتشجيع .. »
وانتظرت

لكن رده الاخير جعلني اهفو اليه بفارغ الصبر ،
ادركني بما يفصح عن ما في دخائله من احاسيس الاخلاص
والوداد ، مشوبة بمرارة وكبر . فيسوق قائلا : « واقسم
لك بشرفي ان سكوتي لم يكن نتيجة اهمال من جانبي بل
هو نتيجة فشل ونتيجة عقم ادبي عند اصحاب دور النشر

فالاديب ان لم يكن مشهورا اعرضوا عنه ولو جاءهم بمقود
من الدرر ينما دور النشر في الغرب تفتش عن الاديب الجديد
وتروح لؤلؤاته وتنشطه ثم تستمره بطريقة ان يستفيد
كلاهما من الآخر .. » ويواصل شكر الله الجبر : « ومما
يؤسف له ان يرى الاديب افلاذ قلبه مطبورة في زوايا مكتبته
ولا يجد سبيلا لخراجها الى عالم الطباعة والنشر - ولو
قلت لك ان الجلات الخلاعية عندنا تباع بمئات الالف ينما
كتب الادب لا يباع منها الا القليل القليل .. » ثم يضيف :

« عندما تقدمت لي جورج طعمة صاحب دار الثقافة عندنا
بحدث عنك وعن عبقريتك وعن الشروط السهلة التي
تكرمت بها لطبع كتابك وان يوسع ان يستغل هذا الكتاب
العراقي الجديد الذي لا يهجم سوى نشر افكاره الجديدة
وخواطره الادبية الشيقة . اتدري ما قاله لي ؟ قال : انك
انت يا عزيزي شكر الله لولا ان مؤلفاتك مطلوبة من كافة
المهاجرين في الاطوار الاميركية الجنوبية كالبرازيل
والارجنتين وسواها نظرا لتسعين التي قضيتها في اوساطهم
كاديب وصحافي لما كان بالمستطاع تصريف الا القليل من
كتبك في الاوساط اللبنانية والعربية . ولذلك اقول لك مهما
تكن الشروط التي تقسمها صدقك وحيد الدين بهاء الدين
ملائمة لي لا يمكن في الوقت الحاضر قبولها نظرا لما نحس
عليه من التزامات مع بعض الدول العربية الافريقية بتقديم
مئات الالاف لها من مطبوعاتها المدرسية . وحاولت الاتصال
بغير دار الثقافة من دور النشر فكان الجواب واحدا مع
الاستغناء . فخطابا اميلد اليك من قصيري وعسى ان لا تكون
غاضبا على حديقك هذا .. »

لا أشك ان شكر الله الجبر اضطلع بالمهمة المكلف بها
كما ينبغي وحاول جادا ما وسعه ذلك ان يؤدي خدمته
التواضعة هذه لي ، ولكن :
مما كل ما يتنني الرد بدمعه
لم يكن هناك تقصير من شكر الله الجبر ولا غضبي مني ..
ولم التقصير ، فالرجل صادق قولا وفعلًا ..
ولم الغضب وهو غير وارد ...
ذلك جار وواقع ...

وبينما نحن في حوار مشترك .. متصل ، صدرت
مجموعتي القصصية الاولى « نداء الشوق » فاسلت الى
شكر الله الجبر بنسخة منها ، وادردت ذلك بكتاب اخر هو
« الاخير بن يوسف » لسعادي يوسف ، ولاء له وتعزيرا
لروابط الصداقة التي بيننا وحملنا اياه على الوقوف على
الوان من الادب المعاصر ..

ان هي الامدة ، حتى تناهي الي جوابه المؤرخ بالسابع
عشر من اذار ١٩٧٣ ، حيث يصرح فيه بكلمات قصارات

(١) عند حزيران ١٩٧١ وسميته كتابي « مباحث في الادب العربي
المعاصر » دار الحرية للطباعة - بغداد - ١٩٧٥ .
(٢) مجلة « اصدا » اللبنانية . المعداد ٦ و٧ حزيران - تموز
١٩٧١ .

الحب والمعاني

وان تنوعت الاشكال والصور
وما ذكرت لهم عهدا ولا ذكروا
وكلها رائح عندي ومبتكر
معنى وفي كل حال منهم خبر
بالعاشقين وفيها الدل والغفر
كلاهما أمر فيه ومؤتمر
ام يؤوم وطرف ساهر حذر
وزانها الزهر والريحان والشجر
وللعصافير فوق البسوح مؤتمر
وفي الاطاح وشسى ارضها الطر
تدعو الى الاالا الاعلى وتنتظر
والبدد يظهر احيانا ويستتر
وفي المساء وفرص الشمس ينحدر
كانها زهر من تحتها زهر
يشع منها السنا الباهي ويشتد
ولحة من معاني الروح تقتصر
بها اهل على فقري واتنصر
فما يضالها من ربة كدر
مما حيا الله لا ما يملك البشر
ويلقي في معادها اللابي والنمر
لو كان يفهمني في صوته الحجر

عمر ابو فوس

يهم قلبي بحب الناس كلهم
كانني كنت قبل اليوم اعرهم
ارى معاني شتى في وجوههم
في كل نظرة عين من لواظهم
وفي الفواني اذا نادت محاسنها
وفي حبيبن اننى الوصل حبهما
وفي رضيع تنافيه وتحضنه
وفي الرياض وقد غنت بلائها
والماء يجري لجيتا في جداولها
وفي الجبال وفي الصحراء قاحلة
وفي الليالي اذا لاحت كواكبها
وفي السماء وفي افاقها سحب
وفي الصباح اذا لاحت بشائره
وفي الفراشات فوق الزهر حائلة
ارى معاني شتى قد فتنت بها
بل كل شيء ارى فيه هوى عجا
طبيعة في ارضها وتسفني
ومهجة قد جلاها الحب تائلت
حب تفيقي على الدنيا خزائنه
ورحمة تسع الاحياء قاطبة
وقد ارى الحجر القاسي فارحمه

حلب

وكنيجة طبيعية لتماطي العقاقير والادوية على نحو
موصول ، ثم الرقود بالمستشفى ، كانت صحنه تاخذ بين
حين وحين بالتطور والتحسن ، فكان يعود الى مالوف
نشاطه الشعري والفكري . . .
لكن الجفرا لا يمنح القدر كما قبل . . .
فقد ادركه الداء والعمياء مرة اخرى كما ادركه من
قبل مرارا . . .
ففاضت روحه في اليوم الثاني والعشرين من شهر
شباط ١٩٧٥ ايلانا بشروب ، ليس باول ولا باخر .

وحيد الدين بهاء الدين

بغداد

دلالة : « قرأت (نداء الشوق) وسررت انه يحمل صورة
ناطقة من حياة هذا المجتمع المريض الذي ما يرح يصعقي
على نار عاداته ، حتى يدوب . وكان كل قصة في كتابك
مرآة يرى كل منا وجهه فيها . انه الادب البناء يكشف من
الداء ولعل المريض يتدبر امر الدواء . » ثم يتطلع شكر
الله الجبر الي من خلال سقوطه ليفضي بما في ضميره :
« وكان بودي لو شرحت لي شيئا من كتاب (الاخضر بن
يوسف) فتنجلي لي رموزه والغاية من تأليفه . . »
الشيء الذي اعرفه ان شكر الله كان يشكو ارتفاعا
في ضغط الدم والامساك البولية ، مصحوبة بحمى ،
من مائصدع له بدنه ، وخارت له قواه الشعرورية والنفسية .

وكان من فضل الله على كلية اللغة العربية - حرسها الله معقلا للغة القرآن وأدب العرب - أن يخرج أحد رجالاته هو الشيخ محمد أحمد عرفة - ليناقش الأستاذ إبراهيم مصطفى الحساب على هدى وبصيرة .

ثم تأتي محاولة أخرى جعلوا عنوانها : « تيسير تدريس اللغة العربية » ، وكان أهلها مجموعة من أساتذة الجامعة وكبار المفتشين في « وزارة المعارف » بمصر ورأسها الدكتور طه حسين ، وقد رأت الاستفتاء عن الأعراب التقديري والمحلي ، كما رأت تسمية ركني الجملة : المسند والمسد إليه .

ثم كانت محاولة الشيخ عبد المتعال الصعيدي لتيسير قواعد الأعراب ، وكان من رأيه ادماج الأعراب المحلي فسي المبنيات ، في الأعراب التقديري في القصور والمتنوع ، والاستفتاء عن باب المبنيات .

ثم كانت محاولة الأستاذ أمين الخولي الذي طالب بتجديد النحو ، وتذليل اضطراب القواعد والأعراب . وكانت الصيغة الغالبة على هذه المحاولات أنها تهتم النحاة بالتزمزيم والتعميد ، والفلسفة والجدل الذي لا موجب له .

وزادت الطين بلة أن ظهرت دعوة إلى إلغاء الأعراب من العربية ، والاستعاضة عنه بتسكين أو أواخر الكلمات يدعوى أن الأعراب لا صلة له بالمعنى ، ولا تأثير له فيه ، كما ظهرت دعوة إلى التقريب بين الفصحى لغة الكتابة ، والمعاملة لغة التخاطب ، بالوقوف على السكون كما في الحديث : « المعنى » .

وكان لا بد من الدفاع عن لغة العرب ، وكان لا بد من تأكيد أن الأعراب فرع للمعنى ، وأن اللغة العربية ذات حسي ، يتأثر معناها بما يدخل الكلمات والأساليب ، مما يكشف عن المعاني .

وقد هب الله لهذا الدفاع أحد أبناء كلية اللغة العربية مرة أخرى - يبحث القيم الذي جعل عنوانه : « المعنى والأعراب عند النحويين ونظريته العامل » . وهذا الباحث أفخر بأنه كان لي بالأسس البعيد لتلميذا ، وأسعد بأنه قد صار لي اليوم زميلا ، وهو من مدينة « دمياط » المحببة الغالية ، التي قضيت فيها السنوات الطويلة من الثلاثينيات أطلب العلم في معهدنا الديني العلمي الإسلامي ، وقد كانت سنوات من أجمل أيام العمر ، وهي أيام لا تنسى ، عليها أطيب التحيات .

ذلك الباحث هو الدكتور عبد العزيز مبداه أبو عبد الله الذي عرفته في شببته طالبان جيا ذكيا لمأحا ، فيه على العلم أقبال ، وله في التحصيل ، وفي الأدب والإخلاص نصيب كبير ، وهرفته بعد أن تخرج في كلية اللغة العربية ، مربيا فاضلا ومفردا للعربية ناجحا ، ولم تنقطع عني رسالته الفياضة بملامح الوفاء والتقدير ، وتابته وهو يسهم بنشاطه الأدبي والعلمي ، ثرة بالمحاضرات ، وثرة بالمقالات ، وثرة



الدكتور أحمد الشرباصي

المعنى والأعراب عند النحاة

بقلم الدكتور أحمد الشرباصي

النحو هو قاعدة العربية الأصيلة ، ومن دله البول أن مخرر الحديث عن قيمته ومكانته ، ولم يكن اسلافنا مباهمين حين قالوا « النحو في الكلام كالنخ في الطعام » فإذا كان الطعام لا يصلح إلا بالنخ ، حتى تعود العامة في السريف ، أن يسوا الملح بسم « المصلح » فإن الكلام كذلك لا ينتظم مبداه ، ولا يتحدد معناه إلا بالنحو والأعراب .

ولكن النحو - من جهة أخرى - علم « ثقل الظل والدم » عند الكثيرين ، يضيئون به ، ويفرون منه كلما أتاخ عليه بكتلته ، ويفرغون القرح الكبير كلما راوا محاولة مبدولة للتخفيف منه ، أو للتيسير فيه ، حتى لو أسأت هذه المحاولة إليه ، أو تحاملت عليه .

ولعل هذا هو الذي شجع الفاتحين بالنحو على أن تتوالى منهم حركات التيسير - كما يعبرون - ومحاولات التخفيف من وطأة قواعد التيسير ، ما بين الحين والحين . هذا ابن مضاء القرطبي يثور على المانوف في النحو ، المعروف عند النحاة ، فيأخذ في الدعوة إلى استبدال « نظرية العامل » التي تمتد أساسا من أسس الأعراب ، وباني الأستاذ إبراهيم مصطفى بعد حين ليردد آراء ابن مضاء ، أو ليكررها ، دون أن ينسب هذه الآراء إلى صاحبها الأول ،

بالبحوث الأدبية ، حتى رايته وهو يقف وفقة العملاق يبحثه عن « المعنى والأعراب عند النحويين ونظرية العامل » . وهو بحث قد أحسن الدفاع به عن حرمة العربية وكرامة النحاة ومنزلة النحو .

ولم يكن الباحث بالمتزمت ولا بالجامد ، بل هو يرى ان لنا ان ندخل على لغتنا بعض التطوير والتنظيم والترتيب والعناية بدراسة الأساليب الوظيفية ، على ان لا نبالغ في تسهيلها أو إيجازها ، وعلينا ان ندلل صعوبتها بالمحاكاة والتشويق والتكرار وبذل الجهد ، وهي مبادئ تربوية لاتقان كل لغة ، والابتداء بالقراءة ، ثم تطبيق القواعد عليها . والبحث في الصلة بين المعنى والأعراب يتطلب - كما قيل بحق - يحتاج الى قدر كبير من الفهم والروية ، لانه بحث يقوم على تلمس المعنى الخصب الذي يعنيه النحوي من غير ان يصرح به ، بل يلفت اليه بالأعراب .

وقد قام الباحث بدراسة عامة لاصول النحو السماعية التي كانت المعين لدى النحاة . وهي القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، وما نوار قول العرب ، فبين كيف كان القرآن سببا في وضع النحو لصيانة كتاب الله تعالى من اللحن ، وكيف كانت القراءات القرآنية مجالا لالوان من الأعراب يترتب عليها تنوع المعنى حسب كل قراءة .

ثم انتقل الى المصدر الثاني وهو الحديث الشريف فابان اهتمام النحاة به ، واختلافهم في الاحتجاج به ، وسبب هذا الاختلاف ، وراى الباحث وجوب الحفاظ كرامة الصحابة بكلام الرسول صلى الله عليه وسلم لا ما دام جاريا على سبيل الكلام العربي .

وتكلم عن المصدر الثالث ، وهو المأثور من كلام العرب فأوضح الذين يؤثرون بعريتهم ، ويحتج النحاة بكلامهم ، وخرج من هذه الدراسة العامة في هذا الحقل بالنتائج التالية :
١ - ليست القواعد الا قوانين مستنبطة من طائفة من كلام العرب الذين لم تفسد سلاقتهم .

٢ - أملى الكلام العربي في صحة الاحتجاج به هو القرآن الكريم ، ثم ما صرح من كلام الرسول والصحابة ، ثم نثر العرب وشعرهم .

٣ - منتصف المائة الثانية للهجرة هو حد الذين يصح الاستشهاد بكلامهم من الحضريين ، ويعد الاستشهاد بكلام العرب المنقطعين في البداية حتى منتصف المائة الرابعة من الهجرة .

٤ - لا يصح الاحتجاج بكلام مجهول .

٥ - لا يصح بكلام له روايتان ، أحدهما يؤيد القاعدة التي تقول بها ، والرواية الأخرى لا يكون لها علاقة بها ، لان الدليل متى تطرق اليه الاحتمال سقط به الاستدلال .

٦ - بعض الشواهد تكون محرفة ، ويكون التحريف في موضع الاستشهاد ، فيجب تحرير الشاهد والتوثيق من ضبطه في مظانه السليمة قبل الاستشهاد به والبناء عليه .

٧ - ينبغي التفريق بين ما يرتكب للضرورة الشعرية

وما يؤتى به على السعة والاختيار ، اذ من الخطأ جمل الضرورة الشعرية قانونا عاما .

٨ - عند أخذ الشاهد - شعرا كانا أو نثرا - يجب ان تراجع ما قبله وما بعده ، فقد يكون مبتورا ، ومن امثلة ذلك ان يجزوا مثل قولهم : « جاؤا الطلاب » مستشهدين بان الحديث يقول : « يتعاقبون ملائكة في الليل وملائكة في النهار » مع اننا لو رجعنا الى « موطأ مالك » لوجدنا الحديث فيه هكذا : « ان لله ملائكة يتعاقبون فيكم : ملائكة في الليل ، وملائكة في النهار » . ومعنى هذا انه لا يصح الاستشهاد به هنا .

٩ - ان التراجع بين اقوال النحاة يجب ان يكون على اساس المعنى قبل كل شيء ، فالمعنى هو الرائد والحكم ، واذا دار الامر بين مقتضيات المعنى ومقتضيات الصناعة النحوية ، التزمنا الاولى دون الثانية .

١٠ - يفضل في كل مقام فيه اربابان الامراب الذي لا يجنب الى تقدير محذوف .

وقد اتبع الباحث ذلك بدراسة موضوعية لشواهد « الكتاب » لسيبويه ، أوضح فيها ما كان يأخذ به سيبويه نفسه من العرص على المعنى ، وان أتى تخريجه للشواهد بلون من التسلوؤ والضرورة . ومن المعروف لدى اهل العلم ان « الكتاب » لسيبويه هو المصدر الاول لجميع الدراسات النحوية والصرفية واللهاجات العربية والقراءات والاصوات القنوية ، والمؤلفون يستوحونه ويستلهمونه ما يؤيد نكتهم .

وتسبويه من شدة اهتمامه بالمعنى نراه يندفع الى تخريج الشاهد من الشواهد على بعض المعاني الثانوية ، متجاوزا بهذا المرحلة التي تعد من لوازم الدراسة النحوية وهي الدلالة على المعاني الاولى .

ويقتر الباحث ان النحويين هم المؤسسون لعلم البلاغة بما فتنوا وقعدوا : تقديمها وتأخيرها ، او حذفها وذكرها ، وهو ما يؤيد انفالهم من غير رفق لتمكين المعنى .

وهذا يمكن ان يقال ان اصول البلاغة نبتت في روضة النحويين ، فكان الأعراب مزوجا بكثير من اسرار التركيب ، وخصص الباحث بابا بين فيه ان الصرح العالي الذي يمثل بلاغة عبد القاهر في كتابه « دلائل الاصحاح » لم يرق الا على القواعد النحوية ، ولولا ما مهدت له من افادتها لمعان ثرية ما شاد البناء .

ويخصص بعد ذلك بابين يدرس فيهما المذاهب النحوية من ناحية انها اثر لخلاف على طلب معنى ، او ان لها منزعا يميم وراء الأعراب ، ايا كان المعنى الذي يكشف عنه . وتعرض بالبحث لتخريج علماء النحو لا اشكل اعرابه من الايات القرآنية في كتب التفسير ، ومن هؤلاء العلماء ابو حبان الفراء والمؤرخي والزجاج . وانتقل الى عرض آراء النحاة المتأخرين من امثال ابن هشام وابن مالك والسيراجي ثم انتقل بالبحث الى « نظرية العامل » وانقسام

الحلم الضائع

« إلى الذي رحل ، وترك كتابه على المقبرة
حيث صورته ، وخطوطه البهيرة في كسل
صناعات الكتاب »

حيثي في ويسع العمر مآبنا
أمانينا ، وقد أوصدت بـأبى
ووجهك غاب من زمن طويل
وطيفك هاهنا ، بين الكتب
وأصواء الفند المجهول ترو
لعمسور بسدا تحت الثياب
وحلمي نائم في الصند غاف
فهل يصحو على ذاك المذاب
تفرق شملنا صبوحا ، وأنا
لفي حلم ، وفي زهر الشباب

الرافيق - مصر
حسين علي محمد

خاسبا : اذا امكن ان تصور ان علماء القواعد توأطوا
على ذلك فانه لا يمكن ان تصور انه قد توأط معهم جميع
المعلماء والمؤرخين من معاصريهم ، فانفقوا على كتمان هذا
الاختراع ، اللهم الا اذا كان علماء البصرة والكوفة قد سحروا
عقول الناس واسترهبوهم فجلوهم يعتقدون ان ما جاعوا
به من افك ممثل لفصح هذه اللغة .

سادسا : تقوم اوزان الشعر وقواعده الموسيقية على
ملاحظة نظام الارباع في المفردات ، ودون ارباع الكلمات
تختل اوزان هذا الشعر ، وتضطرب موسيقاه ، ولا سبيل
الى ا تكرار هذا الشعر .

سابعا : اقوى من هذا كله تواتر القرآن الكريم ،
ورسم المصحف العثماني ، مع تجرده من الاعجام والشكل ،
فذلك دليل على فساد هذا الزعم ، فالمصحف يرمز الى كثير
من علامات الارباع بالحروف . ولقد تم كتابة المصحف
قبل عصر علماء البصرة والكوفة الذين يزعم الجاهلون انهم
اصحاب اختراع القواعد .

وقد استعرض الباحث الصبور الدكتور عبد العزيز
عبد الوهاب ابو عبد الله النحر القديم والحديث ، وحاول إيجاد
الحلول التي تدلل الصعوبات القائمة في وجه تيسير وضبط
قواعده . بعد ان دافع عن النجاة دفاعا كريما ، ودفع عنهم
تهمة الهيام بالصناعة اللغوية ، واستخفافهم بجانب المعنى .
وكان لا بد لهذا الجهد العلمي المضي من تنويه وتقدير
فاتحهم حشد كبير من العلماء والمفكرين وطلاب العلم مساء

الـ ١٢ من الشهر من شهر رجب الفرد سنة ١٣٩٥هـ
الموافق لـ ١٢ من الشهر من شهر يوليو سنة ١٩٧٥ في
قاعة حراس القنصلية بـ كلية اللغة العربية في جامعة الازهر ،
ليشهدوا حوارا علميا دسما بين الدكتور عبد العزيز عبد
ابو عبد الله ، وبين طائفة من الاساتذة المتخصصين ، هم
الدكتور احمد السيد غالي ، والدكتور ابراهيم عبد الرزاق
بسيوني ، والدكتور امين علي السيد .

وامتدت هذه المناقشة العلمية القيمة ما يدنو من أربع
ساعات ، وفي خلالها ظهرت علامات التقدير والتكريم لهذا
الباحث الفاضل ، ولعل من أبرزها ان يقول الدكتور بسيوني
انه هم بان يأخذ صاحب هذا البحث الى مقعد « الاستاذية »
في كلية اللغة العربية حرسا الله مقعلا للغة القرآن وأدب
المررب .

وكان لا بد من تتويج لهذا البحث ، وكان تتويجا
باهرا ، إذ استحق ان ينال صاحبه درجة « الدكتوراه » في
علم النحو ، بدرجة ممتاز ، مع مرتبة الشرف الاولى .

تحية وتهنئة الى تلميذ الامس القديم ، وزميل الحاضر
الشرق ، وصاحب ائتاق المأمول في غد قريب ، فقد افاء
على النحر ربه ، ودلى النجاة كرامتهم ، وفتح بابا واسعا
نمود فيه من جديد الى حقل الدراسات النحوية ، بمزيد
من التمهة العلمية التي تيسر المسير ، وتثمر الكثير ، وعلى
الله قصد السبيل .

احمد الشرباصي

القاهرة

العوامل في النحو الى لفظية ومعنوية ، وأوضح خطأ الذين
يريدون التخلص من الارباع بالومعة . لان تلك هي طبيعة
العلاقة بين اجزاء الجملة فتضيق المقاي كما لذلك . وقد
فند الباحث الزعم المنفري القائل بان لهجات العرب كانت
مجردة من الارباع ، وان النحويين قد خلقوا النحو خلقا ،
وابتدعوه من عند انفسهم ابتداعا ، وان عدم وجود القواعد
في اللهجات العامة دليل على عدم وجودها في الفصحى ،
واستند الباحث الى الادلة التالية :

اولا : عدم وجود القواعد في اللهجات العامة لا ينفي
دليلا على انها لم تكن موجودة في العربية ، فقد انتساب
'سوات اللغة وقواعدها كثير من صنوف التمييز والانحراف
فبعدت كثيرا من اصلها .

ثانيا : ليس غريب ان تتفق اللهجات العامة فسي
النحرج من علامات الارباع ، فقد خصصت لقوانين النطور
الصوتي ، وهو ضعف الاصوات الاخيرة في الكلمة وانحرافه
وذلك موجود في كل اللهجات .

ثالثا : دقة القواعد لا تدل على انها مخترعة اختراعا
كاليونانية واللاتينية قديما ، او اللاتينية حديثا ، فكل منها
تشتمل على قواعد لا تقل في دقتها وتشعبها عن قواعد اللغة
العربية ، ولم يؤثر هذا في انتقالها من جيل الى جيل ، ولم
يقبل احد بانها مخترعة .

رابعا : خلق القواعد محاولة لا يتصورها العقل ، ولم
يحدث لها نظير في التاريخ ، بل هي تنشأ من ذات نفسها ،
وتتكون بالتدرج .

انمضي اليه ام يمي ، الينا

لم يكن الوطن غير كلمة
ثم اصبح موجة في الفروق
ثم سماء وارضا
هسكنا تكبر طفولة الاشياء
تطمنا التحول
تشدد على ايدينا ، قادمة من المستقبل
كنت اتساءل :
انمضي اليه ، ام يمي الينا ؟
فتحت السماء البعيدة جدا
وفي منحنيات الدروب القريبة
نولد كل يوم ، ويولد معنا الاتي ..
ما عدت اتساءل ، لاننا فيه ، وهو فينا
والبعد بيننا ليس الا مسافة نحو الاتي
ايمن ان يقتنع الغرب
بان غربته مجرد كلمة ؟
ايمن ان تكون هذه الشهادة
نهرا ضد القلق ؟
ايمن ان يكون لقائنا هذا الاتساع
فنبحث فيها عن الوطن ؟
احببت ان يكون لي زمن آخر ، ايام اخرى
ونظيت انها ترقص باستمراد
شاردة ولاء سور وهمي
كان لها اللون الاخضر والازرق والابيض
كانت لها كل الالوان
وانا اعطيت ايامي كل الفرح
فتسمت لكل ما هو عادي
ولكل ما هو غير ضروري
الافاة الالوان والطرق الاتية ..
لم يكن الوطن غير مفاجاة ..
رغبة في الامن ..
هكذا تحولت الطفولة
وكان الحب ..
ذلك السيد الرائع الذي ينطق بالحكمة
وهو في اوج نشوته
ذلك التموج النائي الذي يتشكل
حتى ولو حاصرناه
بكل الماديات والكورونات والثرخارف
ذلك الوطن البعيد
القادم كظفل يشتمل بالرغبة والتعاس
الى صدورنا !

ليلى السايح

الكويت





مكتب بريد صفيير
بالإسكندرية ، جلية
وزحام وأعصاب مشدودة
وقد تعوز موظفو المكتب

على متاعب موسم الصيف . ولم
يشك أحد ، فالكل راغى ، ويتحلى
مدير المكتب كل فرصة يقول :

— أفخر بأن المكتب لم يتلق أي
شكوى من الجمهور .

تمتد الأيدي من بين الأعصمة
الحديدية ، تدفع بالنقود دفعا ،
والإسلة لا تمل تكرار الكلمات :

— ورقة تمعة من فضك ..

— أريد طابع بريد ..

— استمارة بطاقة ..

تتداخل الأصوات ، وإذا ما شلت
يد ، فإن العيون تزجرها ، وكثيرا ما
يتروذ العذر من صاحبها :

— الوقت ضيق .. و ..

لكن العيون لا ترحم ، فيسحب
يده ، ويطلب صفا منتظما . بجسء
صوت الأستاذ عبد اللطيف من
الداخل :

— يا إخوان ، النظام مطلوب . قنوا
صفا لو سمحتم .

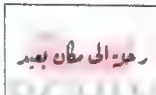
وفي لحظات ، ينتظم الصف ،
وتخف الجلبة . وتبعث له هدى
إتسامة امتنان ، كلماته حازمة ،
رقيقة في الوقت ذاته ، فطاعها
الجميع بدون استياء . ويتهادى
صوت حلو كالنغم الحالم من شفتيها
الصغريتين :

— لو سمحت يا استاذ عبد اللطيف
.. ناولني طوابع بريد .. ما عندي
فد .

يا سره النغم الحلو ، وتدنفه علوبة
الصوت الى ترك القلم الذي كان
يؤثر به على الأوراق ، ويفتح دوج
المكتب ، ويعطيها فرحين من الطوابع .
هدى فتاة يضاء البشرة ، كحلة
العينين ، فاحمة الشعر ، مستديرة
الوجه ، حلوة التقاطيع . ترسم
ظلال الطفولة على محياها . تأتي
الحديث دون تكلف ، كما تنصت الى

محدثها باهتمام . تتفانى في عملها ،
ويشهد رئيسها عبد اللطيف بكفاءتها .
يبدأها دائبتا الحركة كالكلوك ، تأخذ
النقود ، وتعطي الطوابع والاستمارات
وبسرعة غير عادية يكون باقي النقود
امام المشتري ، ولا ينقصها سوى ان
يكون لزيانها مثل هذه السرعة في
التعامل معها . حركاتها متتابعة منظمة
فهي لا تعرف التلكؤ أو التأخير ،
وتحسبها آلة دقيقة لا تتوقف . اعجب
بها عبد اللطيف ، ويطلب له امتداحها
امام زميلاتها ، وذات مرة قال لمن
مزارحاً :

— هدى كفيفة بامتصاص أي ضغط
ما ان العظم امامها صفا طويلا ، حتى
اجده في لحظات قد شارف على الانتهاء
وكانها ظنهم الناس التهاما ! .



بقلم حسني سيد لبيب

وتضحك الزميلات على التشبيه
الذي يقصد به عبد اللطيف شيئا ،
وفهمته شيئا آخر . تمانبه هدى على
الكلمات التي تصورها وحشا مفترسا
ومن غير ان يقصد .

احساسه اليقظ يشبهى كلمات
العتاب ، يصفي باهتمام ، ثم يوضح
لها انه يقصد اطراءها . لكنه في كل
مناسبة يعاود الاطراء بنفس الطريقة
وتضحك الزميلات ، ثم تجيء كلمات
العتاب من هدى ، ينتشي بالكلمات
ويعود يشرح ما يقصد . واستعذب



هذه اللطافة ، كأنها مشهد هول في
أحدى المسرحيات الضاحكة . ويطلب
له تكرار المشهد ، محاولا استئثاره
هدى . وفي إحدى المرات ، حين بدأ
يرد على العتاب ، سمح لبيده ان
يرسم كتفها ، وسحبها بسرعة ، ثم
أصبحت عادته في كل حديث ان
يلمس كتفها ، وأحيانا ذراعها الرقيقة
وفي كل مرة ، يكتس رغبة عارمة في
ان يطبع قبلة على جبينها ، أمسا
تقبيل الشفتين ، فولية مكبوتة لم
يحاول ان يمني نفسه بها ، وان كان
لا يمنع خياله النشط من ان يسترسل
كما يطلب له . فيجمع به الخيال ،
ويتعدى تقبيل الشفتين ، الى عناقها
ضاربا عرض الحائط بفارق السن
بينهما والذي يناهز الربع قرن .
هي تخطي في لوب العشرين الزاهي ،
وهو يئن بنقل الخمسة والأربعين
عاما .

وإذا كان عبد اللطيف يروح الى
هدى ، وتروق له ، فذلك يرجعه
الى طهر الانوثة التي تجتذب الرجال
بمختلف أعمارهم ، ولم يحاول ان
يطمع في شيء . ففارق السن مدركا
منطقه — فاضى بين أحلامه وواقعته ،
وهو حريص على الخط الفاصل بين
ما يتمنى وما يمكن تنفيذه . لم تعرف
حياته الانحراف قط ، وقد حارب
كل رغبة منطرفة . ذلك شأنه منذ
الصغر ، فقد شب عزيز النفس ، ولم
حلو المشر ، رقيق الحديث . ولم
يكن حثاثة الذي يسبغه على هدى
دون سواها من الزميلات شيئا شاذا
او منحرفا .. فالحنان — هكذا يرى —
شيء مطلوب ، الحنان لغة القلب
السامية ، لا سيما حين يكون مبرا
من الأهواء .

يجلس عبد اللطيف فاحصا أوراقا
بين يديه ، أسمر الوجه ، مديسد
القامة — هادئ النفس .. يحسن
بالجبة التي يحذنها الجمهور خارج
السور الحديدي ، فلا ينزعج ، أو
يتعلم .. وأتانا ان البنات — هكذا
يتأدين — قادرات على انجاز أعمالهن

بسرعة وبدون مشاكل ، وعلى الاخص هدى ، حلمه اليقظ ، ورغبته المكبوتة . الساعة تحرف ببطء نحو الحادية عشرة ، تقترب منه هدى ، تحني اتحناء كبيرة حتى تدنو شفتاهما الصغيرتان مسن اذن عبد اللطيف اليسرى . تمس في لفنة محببة : - عن اذنك يا استاذ عبد اللطيف . يترك ما بين يديه ، تلفت اليها رائيا الى عينيها الكحيلتين ، السي نجميته السوداءين ، صامتاً ، والهمت لفنة اليليفة : حيث تتاح له فرصة اهدائها نظرة الحنان ، والامتنان . تعودت على تلك النظرات الخرساء ، في البداية كانت تريك ، تقلق ، تدمر ترمش ، فيتمس ويمطرها بكلمات الطيبة . شيئاً فشيئاً تعودت على صوته ، واحترمت هذا الصمت . ترد على صمته :

- عندي مشوار مهم ..

- طيب ..

- نصيف هدى :

- تبجع مني الطوايع .

بنهش : وعلى شعتيه ابتسامه .

حب خضراء :

- ابيع انا الطوايع .

تملكها فرحة صبيانية ، تنتشر . بحنانه الابوي :

- متشكرة يا استاذ عبد اللطيف .

تهرع الى درج الطوايع ، تحسب ما يحتويه من نقود ، وما تبقى من طوايع واستثمارات . هذات الاصوات وقبل ان تكمل الجرد ، قال عيسى . اللطيف :

- اركي كل حاجة كما هي ، انا مطمئن .

ويصر على موقفه . يمنحها لقمة المعلقة ، شيء رائع ، كلمة الشكر لا تكفي ، ومنعها الحياء من ان تطبم على خده الاسمر قبلة امتنان على شعوره الفياض . ارسلت كلمات الشكر في سحاء . احمرت وجنتها السعادة تختلط بنضات مروقها ، تغزو دماها ، تعطياها الدفء .

تساوى خصلات شعرها النازلة على جبهتها ، ثم تتناول الحقيب . تراجع ما بها ، ثم تسأله ان كان يريد شيئاً . وكانت فرصة كي يقول :

- تصحبك اسلامة يا هدى ..

ود لو يسترسل في الدماء ، بدلا لكلمات الحب التي تنتحر في جوف حلقه . وان كان الحب يستوطن قلبه الكتوم .

قبل ان تفادر الكتب ، تحرص على تحية الجميع ، اسارير البهجة تترسم على محياها . ثم تختفي بعد



حسني سيد لبيب



ان تلوح له يدها الرقيقة ، يشي جلده ، ويلوي رقبته الديدة بعضف الشراء ، ويتبع خطاها قبل ان تختفي من الباب الضيق من نظائره .

يفطن زملاء الكتب الى حنان عبد اللطيف وعطفه عليهم . ويرون ان هدى تختص بحنانه الزائد ، فلا يتبرمون . وكثيراً ما يقول :

- نحن جميعا اسرة واحدة .. وهذا الكتب هو البيت الذي يلسم شمل الاسرة .

وطبق هذا القول فعلاً ، فكان هو رب

الاسرة المسؤول . واصبح الكتب هو بيته الذي يراه ويهتم بشؤونه . ويرغم خطيه الاربعين عاماً فلم يزل مزياً . منذ عدة سنوات ، جرب خطه في الزواج من فتاة تصغره بعدة اعوام ولكن طيبته استعلت في غير موضعها . وانار والدي الفتاة كثيراً من المشاكل . ودفعه الضيق الشديد ، وصبره النائد ، الى فسخ الخطوبة بعد ستة اشهر قضى اغلبها في المنازعات . وابعد فكرة الزواج من محيط تفكيره ، وفتح بعباءة العزوبة . وتغاني في عمله واحس حين رقي مديرًا لكتب ان هدى أصبحت مسؤولة عن اسرة العاملين ، ففاض حنانه على الجميع ، يزرع الحب في قلوبهم ، ويحول مشاكلهم الى طرائف وتذوق احقادهم ، وتبقى المحبة عامرة في النفوس .

الكل هنا يذكر ما حدث في عقد قران زيمتهم منى . وكيف صار حلها حديث كل المدمنين . انفراد عبد اللطيف بهدية قيمة ، واشترك الباقون في شراء هدية معائلة . وطلب عبد اللطيف من فؤاد ان يدعو فرقة البوابة التي يشترك فيها ، واشار على هدى - بصفتها زميلة منى - باسم النازي . ان تدعو صديقات منى اللاتي لم تتمكن من دمولهن ، وشجع سعاد على الرقص دون حرج ، واقتراح على فتحة ان تذهب الى منى في الصباح لمساعدتها في استكمال زينتها ومصاحبتها الى الكواكير . يذكر الجميع هذا اليوم الجميل ، وكان عبد اللطيف كالمسترو تطلعت اليه صيون العازفين ، ونجح الحفل نجاحاً فاقت التصور ، فقد اعد كل شيء في كتمان شديد ، وهو قلب منسى بالسعادة .

ويشعرون بلمسات الحنان ، بضغفا على ملاقاته بهدي . لكنهم في الوقت ذاته يحبهم جميعاً . اما ذلك الشيء الخفي الذي يشده الى هدى ، فلا يقلقهم ، واتما يزيد من ترابطهم واقتهم .

يبع عبد اللطيف الطوايع

الحلم الذهبي

وكانها أحست بما يشقى الرجل .
تفعل الجميع للمعته ، يعتبرونها
آية الحب والتقدير . تقول فتحة:
- عبرت منى عما في قلوبنا جميعا
تعب سعاد :

- نود ألا نفرق يوما واحدا .
يتسم عبد اللطيف ، ينسى
اكتناؤه ..

- ما كل هذا ؟ .. انها اجازة .
يرافقه فؤاد الى محطة الرمل ،
حيث يستقل الترام .

اصبح وحيدا مع امانته المصيرية ،
وجرحه الفاتر . تخلص بعض الوقت
من اكليل الحب الذي يلتف حوله ،
وعاد الى هواجسه . شيء طارئ لم
يدخل في حسابه ، ستمت خطوبة
هدى قريبا ، يجزع فؤاده للنساء
ويكتئب صدره ، يشقى ، يزهو -
فترات الم . يدخل مشراة ، يطرده
الدخان سحباً قائمة من صدره .
غصن البان الذي رواه من احلامه
الوردية ، بدأ يتمايل ، ويهرس .. بدأ
يجتذب انظار المحبين ، لا .. بدأ
يتطلع الى الحب . هدى ، البنيت
(الصفيرة الطيبة ، كبرت .. كبرت
وعرفت الحب . لا بد انه شاب وسيم ،
دمت الخلق ، متعلم ، و ... يفيق حين
تلمس السجارة انامله ، يلقي العقب
من النافذة . يتأمل الوجوه التي
حوله ، يركز على الشباب ، ينتقي
واحد ، يراه مناسباً لهدى . ثم
يثور على الاختيار . يشيح بوجهه
من غريمه ، ويشعل سيجارة اخرى .
يفكر في اجازته . الى اين يذهب؟ ..
لم يعدد .. أعلن للجميع قيامه
باجازة ، دون تلبس . يود ان يغيب
عن أسرته ، عن مكتب البريد ، ربما
لدة طويلة . لا يريد ان يرى أحداً ،
قد يقوم برحلة ما . من الأفضل ان
تكون رحلة الى مكان بعيد ، بعيداً عن
هدى . ولكن .. هل يطيق فراقها؟
وقد يتفكك البيت أ .

وأطبق على صدره صمت ثقيل ..
حسني سيد لبيب

القاهرة

يا برعم الحب التني التاني
في كل ثانية أراك اصامي
ونجبة لذهبية الاحلام
فيها لحت هناءتي وسلامي
ورشاقة سحرية الاقسام
ومن اللوحة صوتي وهيامي
وجمالها فجر الحياة الدامي
والعين زرقتهما مروج غرام
ففرقت في بحر الهيام الطامي
ليكون في بحر الجمال حمامي
واختصني بالرسم والالهام
والفن متقاد الى الرسم

فيليب لطف الله

حلما اراك بيقظتي ومنسامي
مهما بعت ، الى الفؤاد غريبة
رسمات افقه الباشاة والرضى
رؤيا يجلفها الجمال مجسما
مرت فخلت البرق في خطواتها
الحسن مجلبة العبة والهوى
يا غادة ، نور الصباح جبينها
في هديها لهب المغان والفتوى
ابحرت في امواجها متفانسل
وبعدت عن شط الحياة لاجلها
سبحان من وهب الكمال لفادة
فرسنتها اوحى الجمال لشاعر

سان ناولو - البرازيل

مواعيد عمل المكتب ، يقطع جبل
الحديث بين سعاد وقتحية ، وهما
تتهيان للنافذة المكتب . يحول لهما :
يا ربما افوج باجازة ..
- كم يوما ؟
- قد تطول ..
- لمه جبر .
- مسافر ..
- لم ؟
- لا شيء .. انها رحلة ..
- الى اين ؟
- قد تكون الى الصعيد ..

تعتقد الدهشة السنتهم ، يتناقلون
النبا ، يفسرونه بان الرجل مرهق ،
وينشد الراحة من اشباع العمل . وربما
مل رتبة الحياة فشاء ان يخلو نفسه
بعض الوقت ، وارتاحوا لهذا التفسير .
لما ظن البعض بأنه ينتوي الزواج ،
فقد شاع بينهم همسا وان لم يتقنوا
من صدقه . يحقق قلب منى وهي
تم يدها تودعه :

- تصحيت السلامة يا استاذ عبد
اللطيف .
ولا تستطيع ان تحبس دمة وفاء

والاستمارات ، بدلا من هدى .
يتنازل من وثايفته كرئيس مكتب
يريد له هيبته المعروفة لدى الجميع .
تقترب منه فتحة وتقول :
- يبدو يا استاذ عبد اللطيف ان
المكتب سيفرح قريبا ..
ييش وجهه :
- لم ؟
- اخبرتي هدى ان حفل خطوبتها
قريب ..

- مستحيل !
تدهش فتحة ، تكرر قوله :
- مستحيل ؟
- اقصد مستحيل ان تخطبون
ان تخبرنا ..
- لم تشا اعلان الخبر ، لفاية ما
يتحدد الموعد . واظنك اول من تفرح
لهدى ، وكلنا نعرف مدى حبك لها ،
بمعظم :
- طيبا .. طيبا ..
ويطبق عليه صمت ثقيل

تتوتر امصابه . يجاهد كي يحبس
انفعاله ، ويسير الامور كالعتاد .
يبذل عناء بالفا . وقبيل انتهاء

الا من مثله ، وكنا نحن عشاق الادب نسارع الى مجلسه في اشتياق ، لنستمع لا نتحدث ، ففي المجلس كيمساره يجيدون الحديث ، ونحن ناشئة نلمس الخطوات الاولى في الطريق ! افيجوز لنا ان نبدي ونعبد ! وكنت ارى بين الحاضرين شابا يجلس على استراحة ، ومعه ديوان المتنبي لا يترك يده ، وقد ناهز العشرين ، ورايته مرة ومرة دون ان اسمع منه كلمة واحدة ، ورايت معه ديوان المتنبي لا يفارقه ، فساقت ان امره صلته بشاعر العربية الاكبر ، فسالت استاذنا الزيات عنه - حين قام الشاب ليمضى امره - فقال الزيات في ابتسام ، انه ساعي البريد للمنصورة وقد تقدم الى جبرني بحبه « الرسالة » ، وجنونه شعر المتنبي ، وهو على خلق وذوق وادب ، ولو اكمل تعليمه لكان ذا شأن ، ولكن ظروفه صعبة تتطلب التصبر .

كان حديث الزيات عن الشاب ، واسمه سيف ، مصدر غرابة واشفاق وحب ، قد امتزجت خلاصتها في نفسي ، فشعرت ان سيفاً صديقي وانني أولى بمودته وصممت على ان اصاحبه ، وكنت حينئذ في السنة الاولى من وظيفتي التعليمية اشتغل مدرساً باحدى مدارس المنصورة ، وانا فارغ البال لم ارحم بمقابل العيش ، ولست مسؤولاً الا عن نفسي ، فما ان رايت حتى هربت اليه ، وراى مني اقبالا لا يبعد في حملة الشهادات على حد تعبيره ورايت منه هياما بالقراءة ، وحباً خالصا للشعر والشعراء ، وجونا يلهو بابي الطيب ، فهو يحفظ الكثير من قصائده ، ويسأل الاستاذ الزيات عما لا يفهم ، ثم هو لا يعجل به تنظيرا آخر ، وكنت استمع اليه فاعجب كل العجب ، لساعي بريد ، يصنع شروح الديوان بما يقتطعه من راتبه المحدود ، ويشتري بقصائده المتنبي ، وزملاؤه وذوو سنه يردون اغاني الاذاعة ، والمتقنون من ذوي الدراية يرددونه ، ويروونه مراهما يعرف بما لا يعرف ! فهو عندهم دمي لصيق ، وعند ذوي طبقة غافل مفروق !

تولقت صلاتي بسيف ، وكان الادب لحياتها وسداها ، فانا اقرأ معه المسرحيات العاطفية ، ما بين مؤلف وترجم ، وهو يسهر لدي احيانا يسمعي بعض قصائد المتنبي ، ويشرحها كما تروق له ، وقد عرفت من امره الخاص ان والده توفي وهو في السنة الثالثة من الدراسة الثانوية ، وقد نجح عام وفاته ، وانتقل الى ما كان يسمى بالثقافة ، ودخل امتحانها مرتين في سنتين متوالتين ، ولكنه خاب في مادة خاصة أصبحت تمثل له عقدة الفشل والخيبة ، وكه بدل في تحصيلها ما يدل من وقت وأعصاب دون جدوى ، حتى اضطر الى العمل في وظيفته المتواضعة ، وانهلج في الادب والشعر سلواه ، فرمما تسعفه الايام بنضج أدبي يصعب به ادبنا موهوبا دون احتياج الى درجة علمية ، ومماذا يملك الفخولطي والرافعي والمقاد من هذه الدرجات ! هكذا اقتنع المسكين نفسه ، فاخذ يقرأ مجلات الادب ، ويسعى



الدكتور محمد رجب البيومي

ديار اللواتي دارهن منية

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

الاستاذ بكلية اللغة العربية بالزمام

اكتب المقالات من لثلاثين عاما ، فما رايت احدا كتب التي ينهني انه قرأ لي شيئا نال قبوله ، لذلك كان قريبا كل القراءة ان اجد خطبا رقيقا من صديق قديم يحدثني عيه انه اعجب بمقالي « ايا جارنا ما انصف الدهر بيننا » الذي نشرته في عدد لا ادري تاريخه من مجلة « الاديب » وكنت اصدق ان واحدا من القراء قد استحسنت مقالا لي ، لولا اني وجدته في منتصف الخطاب يتعجب كيف اتحدث من قصة « ايا جارنا ما انصف الدهر بيننا » ولا اتحدث عن قصة « ديار اللواتي دارهن منية » وانا احد شهودها ، وكاتب الخطاب بطلها ، فعرفت انه يطلب ان اسرد قصته فحسب ، اما انه قد اعجب بمقال الجارة فذلك ما كان توطئة تدل على المجاملة ، ولا تنبيه عن التقدير .

وقصة صاحبي قد وقعت منذ ربع قرن ، وانا لا اكاد اذكر تفاصيلها الجزئية اما اذكر مجملها الكلي في غير وضوح كما ارى الشيء من خلال منظار مبتل بالاد ، وقد اجهدت ذاكرتي لتعبد علي ما كان ، فاذا لم تلتئم الحقائق على وجهها المستريح ، فانا معذور معذور

كان استاذنا الكبير احمد حسن الزيات رحمه الله بوم مدينة المنصورة في شهور الصيف ، كل عام ، وله مجلسه الزاهر تحت الكافورة على ضفاف النيل ، وقد تحدث عن كافورته في وحي الرسالة حديثا لا يصدر مثله

جهداً للقائه الكبار من الأدباء ، وأعظم سلاوة أن يقرأ المتنبي وأن يحس في نفسه امتيازاً خاصاً لأنه يستطيع أن يعيش مع أكبر شاعر عربي ، كما يرى الناقدون ، وقد حاولت في مدى ستة أشهر أن أقراعه بعض الأثر الرائعة لغير المتنبي كي ينتزع زاده الشعري ، ولكنه كان يعطف ثانية على أبي الطيب في انتدفاع ؛ وكأنه هو الشاعر الأوحد في دنيا العرب وهو بعد شاب ناشئ يعيش في دور عبادة الأبطال .

لم أكن أعلم أن سيفاً يخفي في أعماقه سرا عاطفياً ينغر في قلبه ، ويستبد بشاعره دون أن يجد صديقاً يئنه وجده العظيم ، حتى جاءت ليلة من ليالي الشتاء سهراً ما نقرأ فيها شعر المتنبي من قصيدة مطلعها

أنا لاني أن كنت وقت اللواتم تريت بما بي بينك تلك العالم
فأخذ يقرأ متأنياً متثدداً حتى وصل إلى قوله

ديار اللواتي دارهم نيمصصة بسمر القنا يظفان لا بالتصام
فوجدته ينقطع فجأة ، في نعيم وجهه - وكان ذا وسامة صيحة - في ألم ، فأردت أن أعابنه ، فقلت أن المتنبي ليس شاعر الغزل ، أنه يتحدث عن اللواتي ، فهو يعشق بالجملة دون تحديد ، ولوعرف الوجد قلبه لا تقتصر على التي فقط ؛ لهذا كلام يعجبك يا سيف ؛ أن كنت تلعب الغزل الوجداني فلنقرأ مع الشريف الرضي أو العباس بن الأحنف أو جميل بن ميمر ، ما المتنبي وهذا المجال ؛ وكان صاحبي لا يطيق صبراً على نقد المتنبي - وهو في ذلك يذكرني بصديقي العزيز الأستاذ عبد العزيز الريمي رابطة المتنبي بالرياض - فتوقعت مثلاً يجادلون بصفه ، ولكن البومع قد ملأت عينه ثم سألت على وجهه ، وأجاب بيمين في بحر .

مردداً قول أبي الطيب
ديار اللواتي دارهم نيمصصة بسمر القنا يظفان لا بالتصام
فدهشت إذ فوجئت بما لم أتوقع ، وسكت وسكت إلى مدى ؛ ثم قال في ألم : لقد هيجني المتنبي ، أنها تحبه أيضاً ، وتراه أكبر شاعر عرفته الضاد ؛

قلت مأخوذاً : ومن هي ؟ أن أتركك حتى تجيب ؛
نظر إلي في لوعة وقال لا بد المصدور أن ينفت ،
وأسألك سري فلتسمع ؛
كنت أوزع الخطابات ذات أصيل في حي (توبل)
فارتقيت إلى الدور الثاني من منزل واضح المكانة لاسلم رسالة إلى صاحبيتها ، وفوجئت بها شابة رائعة في غلالة حريرية لبضاء فكانت لؤلؤة ذات أشعاع ، ولم تنظر إلي ، وكأنني لبست أنساناً وأخذت الرسالة لتوصل إلي الباب بعد تحية باهتة لا تلت على شموع ، ولا أدري لماذا عدت أفكر فيها تفكيراً تشوبه المرأة ، لأنها في هذا المستوى الرائع من الحسن ، أم لأنها عرفت منزلتي الاجتماعية فلم تسمح لعينها أن تنظر إلي ، أم لأن كاتب الرسالة التي حملتها إليها هو صاحب قلبها الخفاق ؛ لقد قضيت سواد ليالي أفكر تفكيراً بالسا فيها دون جدوى ، وكان الظروف قد شابت أن تزبد لتلقي بها ، فقد أبصرتها في الليلة الثانية تقصد محلاً تجارياً في السكة الجديدة ، وقد ظهرت في زهبا المكمثل كما لم تظهر

ملكة صاحبة عرس ، أو هكذا وقعت في عيني ، وعدت إلى منزلي قلقاً لا أستطيع أن استقر في موضع ، أفتح الكتاب لأقرأ فلا أفهم ؛ وأستمع إلى الراديو لأتلى فلا أفعل ، وأحاول أن أزدرد طعام الغشاء متفك القيمة الأولى دون أن تساغ ؛ ثم أخرج إلى الشارع فاجده ضيقاً لا يكاد يتسع لنهائي فانتكس ثانية ، واطفأء النور لأنام فانتكس ذات الشمال وذات اليمين كصاحب علة مستمصبة تردود الرقاد ؛ ويزيد في محنتي التي مجنون المنطق ؛ أحقق التفكير ، فقيده الإرادة ، ولو كنت غير ذلك لمنت نفسي أن تطمع إلى غير مطمع ، وأزمنت فعمي أن تقف حيث تستطيع ، فلا تهول خلف السراب ، وكان اسم أبيها كما عرفت ذلك من عنوان الرسالة اسماً لامعاً لصحافي كبير كان ذا دور بارز في سياسة مصر ، وقد انتقل إلى رحمة ربه بعد أن ترك تاريخاً وكتباً وصيناً حميداً ، وقد حملتني قدامي إلى الشارع الذي تقطنه في (توبل) وجلست أمام المنزل لأحدث أحد البقالين في أمور اختلقها ، وأمنت الحديث لأعلم أن سائلة الدور الثاني زائرة كريمة ، وفدت من القاهرة منذ أسبوع ، ومنزلها اللامع بالزمالك في شارع عرفته ، وأنها لا بد أن ترجع عن قريب .

لم أكف من التفكير فيها ، وعينا أصور لنفسي بعدها الشاسع من طبعتي ، فأجد حديث العقل لا يتبع الوجدان وأراي أسير حرب أهلية تشتجر في صدري فتدور عن نفسي الهدوء ، وخفت أن أحدث أحداً يسري فأكون موضع السخرية والإستهزاء ويبدون وهي ذهبت إلى دار الكتب بالمتنبرية ؛ طليت مجلدات الجريدة التي كان يصدرها الوالد الكبير ، وأخذت أقرأ مقالاته وأدون موافقه ، والخس ما يروقي من حديثه ؛ مكثت ستة أشهر لا أترك عطسي الرسمي إلا لدار الكتب ، أطالع المجلدات سنة وراء سنة ، والخس المقالات ، وأملأ الدفاتر وأسود الصحائف ، وأجد في ذلك راحة وتنفيساً ، وكان يخيل إلي حين أنه مك في قراءة هذه الصحف التي أقرب شيئاً فشيئاً من قلب صاحبي وأنا حين ألم بكل ما أستطيع الإلمام به من تاريخ والدها صامح في عينها شاباً ذا شان ؛ وقد انتفعت بما قرأت إذ تفتحت مداركي ، وأستنار وعيي ، وهرفت دقائق حقبة هامة من تاريخ بلادنا ؛ وكان ذلك كله خطوة أولى تمهد لخطوة ثانية قد تكون نقطة وقد تكون خالية ، ولكنها في رأيي ستعمرني أمام نفسي إذا لم تكمل بالنجاح .

لقد اتجهت إلى عمي لأعرض عليه نصيبي في منزل الأسرة بالريف بحجة أنني مستقر بالماصمة ، ولأقبض منه الثمن ، وكان كريماً معي كل الكرم ، فرضي بما فرضته ، وذكر أن المنزل منزلي مهما قبضت الثمن ، ورجعت ومعني سبعون جنيهًا ، فأحضرت حلتين جميلتين ، وهيات للباسي ما يجعلني في مظهر لائق ، وأدخرت ما بقي في صندوق التوفير التي أستمع في عند الحاجة ، وصممت أن أذهب إلى منزلها بالزمالك ، معنياً التي طالب بالسنة النهائية

في حقوق الاسكندرية ، واني معجب كل الاعجاب بتاريخ
والدها ، وحريص على ان اصنع عنه كتابا ، ولا بد من
معلومات عن حياته الخاصة ، استقيها مباشرة من عائلته ،
هكذا فكرت وقدرت ثم ذهبت !

وجدت القصة مثيرة ، وقد بدأت تتخذ خطا مدحشا
فقلت لسيف : ارجو ان تفصل ولا توجز ، فني حقائقي
الحياة ما قد يفوق الخيال فنظر الي في أسف ، وقال: دعني
يا اخي فانا انكلم ، وقلبي يتمزق لقد وقعت في مأزق !
وكانت ملامحه توحى بما يحتمل في نفسه ، اذ كان صادق
اللهجة والسحنة واللغة واللغة والزفرة ، بحيث خيل
الي انه يصطدم بمأساة ، ولكنني اصبغت منتهيا لاجسده
يقول :

لم اكن ليقا فأطلب بالهاتف موعدا للقاء ، ولكنني
توجهت بعد العصر مباشرة الى منزلها ، وقد رايت ميناء
الشارع بطبقاته الضاربة الي ملو يأخذ العين ، وما كنت
اصعد درجات الطابق الا حتى وجدت صودتي في الرخام
على الارض وفي المرايا المتعددة الواسعة في كل حائط .
فاعتقدت ان المكان ليس لي ، وهجم علي فجأة بيت المنبي
دبار اللواتي دارهن منميسة بسم اللتسا يظلمن بالانصام

وكنيت في حاجة الي ان اهدي خاطري ، كيلا تسرع
نبضات قلبي ، فتوقفت لحظات ، حتى عرفت كيف اجمع
نفسي ، ثم اعترفت ان ادق الجرس ، وكانني اجمع طلي
مزني الاسد ، فرأيت اخاها يفتح الباب ، ولحظني في جثتي
ووسامتي وخجلي ما جعله يرحب بي في اسماء وقودي
الي الصالون كرائي ذي مكانة ! ولم الت ا ان عرست طلة
مهمتي الادبية والوطنية في ضروره كتابة تاريخ بطل ادب
سياسي مفكر ترك تأثيره القوي في محيطه ، ولا بد من
الاستفسار من دقائق حياته الخاصة من ذويه ، فجاء فرج
الله القريب حين صاح الاخ مستبشرا : رائع ! رائع ! ان
اخي سميرة لديها مكاتب خاصة بمسودات والدها ،
وقصاصاته ومقالاته فهي لا تعيش الا على ذكراه ، وانطلق
بدعوها ولم تكن غير صاحبتني ! وقد اقبلت مفتحة كزهرة
بائعة جادها الطل في الصباح ، وبميينها فرحة زادت وجهها
وضارة فكان ممسا اشرفت على غير انتظار ! وقد تشجعت
فمكنت اكثر من ساعتين اتحدث عن السياسي الاديب
الصحابي الكبير ، وقد اخلت للوقوفها باعدادها واستشهادا
وتعليقا وكان اقبال صاحبتني يخل الي ان اصحت حببيني
وان الفوارق قد ارتفعت فجأة ، وكان ذلك متوقعا لو كنت
صادقا فيما اقول : لو كنت طالب حقوق ينشد المادة الاولى
للكتابة ، ولكنني سامي بريد !

لم اكد اخرج بعد ثلاث ساعات مرت ثلاث دقائق !
حتى الت سميرة من خلال استلها المهلبة بالقليل من
حياتي الزرقية ، وقد تورطت حين ذكرت لها عنوالي بالمنصورة
لنتراسل في مسائل الكتاب المرتقب ، وفي غيرها مما اكاد
اوقعه ، ولم اذكر عنوان الكلية المزعومة بالاسكندرية متعللا

بما قبلته من الاعذار ، كي اسعد برسالها حقيقة ، وقصد
تراسلنا مرتين ! ولكنني عند نفسي كاذب مزيف ! ولا بد ان
ارتقب الفضيحة في يوم قريب !

عاد سيفالي اطراقه ، وهو يتمتم ماذا اصنع، ستاتي
للمنصورة عند صاحبتها ، ومعه تنواتي الذي تسرعت في
اعطائه ، وسأصاب بخيبة الحياة حين تعرف اني كاذب !
وتلك التي تعادل الموت لدي !

فكرت قليلا ، وقلت له ، اكتب اليها الان انك نقلت
الي الصعيدي تما لوظيفة ابيك ، ولا تحدد عنوانا ، وتصبر
في حزم وسيتهي الموضوع !

صرخ سيف : ينتهي الموضوع ! انت تحكم علي بالفناء
ولم يكن الوقت موقف مناقشة ، فحاولت او اواصل قراءة
المتني ، قلم استطع ، ورايت ان الوقت قد تأخر ، فتمت
وفي نفسي تعجب كبير .

وكانني كنت اتحدث عن نفسي لا عن سيف فقد وحيث
بنقلي اتنا الي الصعيدي مدرسا بابونتج الثانوية ، وراست
صاحبي مرتين في السنة الاولى ههنا بالعبدية ، ثم انقطع
ما كان من تلاق وتواصل فلم اعد اعراف عنه شيئا ، ولكنني
بعد بضعة اعوام اظنها ستة قرات اسما كاسمه بين مس
عينوا وكلاء للنيابة بوزارة العدل ، فرجحت انه غيره اذ
تشابهت الاسماء ، والا فابن سيف من وزارة العدل ! وكان
علي ان استوق في اهملت وتراخيت حتى تلاقينا بعد
امد طويل بالقاءه بمصادفة في الطريق فاذا سيف بتغير
ويعلو ويهتج حتى لكاته شخص اخر . واذا هو يحدثني انه
ذاكر ، ونال ليسانس الحقوق وتزوج ، وانه يدعوني الي
الفداء فعدا ، فعلى ان انايله في الظهيرة ليصحبني الي المنزل
وانطلقت السيارة بنا الي الزمالك حتى وجدني امام منزل
لا عهد لئل سيف بمنزله ، فخطر في ذهني فجأة قول المنبي
« دبار اللواتي دارهن منميسة » وسالت في نفسي متحيرا :
أوقعت المعجزة ؟ وكيف ؟ وكان صاحبي زرينا معي اكثر مما
يجب . فلم يمهذ في الطريق بشيء ، حتى وجدت نفسي
امام زوجة الشابة المثقفة النابغة ، كريمة الصحافي السياسي
الاديب ! ولو ان كوكبا اسطمد بكوكب ما ، كان له من الاثر
لدي ، فدر ما صلمت به من مفارقات ، ولم استطع ان
اسأل صاحبي في مجلس الفداء ، ولكنني كنت في مهب الريح
من الظنون ، وسيف يعلم ما في نفسي ، ويكتم استماعه ما
تنفج حتى تتبدد ، وكنت اتعجل الفراق لانف على السر
وصاحبي يتناقل متعمدا ، حتى كادت خيوط اعصابي ان
تضطرب فليست من جديد ، وما وجلت فضاء الله فسي
الطريق حتى صحت به كيف تمت المعجزة يا اخي ! فقال
وكان يتحدث عن امر طبيعي ، لا من مفاجأة مربة ، زارتي
في مسكني وكنت غالبا وعرفت حقيقتي ، فكنت تشجعني
وتقول ان انسانا يؤلف كتابا من والدها لا بد ان يكمل تعليمه
وستقف بجاني ! وكان خطاها ذا سحر يخترق الصعاب ،
فواصلت الكفاح حتى اخذت الثقافة قائلناوية ، وصممت

من وهي الغزاة

« خواطر شاردة بين غفاف النيل السعيد واجواء الهجر الجميد »

وبقيت مثل السيف فردا
يهتز في غمد تردى
أثلامه تزداد عمدا
فهما استجابوا حين ودا
فما استطاع التؤم كيدا

فاستشدوا في (العميد) فردا
فاتنن الجسو المتدى
فظنن ذلك الضحك حمدا
عن طعن ما فسون تصدى
وخدد الصغار خندا
يستثن غدارا ووغدا

بعدا اتنى واسدى
التجريح بالتلميح .. مجدا
فاصابني بالعين .. كيدا
ما كان صميت عنه ردا
فكيدا ، ولم اقبله ندا
في ثوبه حرا وعيدا

ولم يزل كالطفل رشدا
ان ينتهي من حيث ابدا
وصار « كيجوت » المذى
وباض اشمارا .. وكيدا
فكسره ما كان عمدا
العاصيات عليه جندا

الطمع ان الموت اجدى

جورج صيدح

ذهب الالى صاحبهم
سيفا تصدى دهمه
يزداد حمدا ، ينما
ود الكرام الكاتبين
وغزا الثمام الكائنين

ارني تقوم عيلوا
في « الندوة » استمعوا اليه
ضحكوا على المي الذي
سيف الشريف اجله
كم هاد عن علق الليل
وعفا عن الصاد ، ثم

ما بال « نافذنا » تنكر
مجيدته ، فلبى سوى
شلت يديه حماتني
لولا سوانق عطفه
حبايته بقبوله
يفخرى الرجولة ان ترى

ومعمر علك القننين
رام الصفود فسمياه
فسطا على لقب « العميد »
كم راض ميدان التريض
ان كسر الوزن العميد
الذنب ذنب التقافيات

افسى تعاليم الحياه

باريس

القصص فأجدها تتحول أثناء الكتابة الى مقالات ! وكان عليه ان يختار لحديثه فنانا يبرع ، لا متحدثا يسرد ، فكل ميسر لما خلق له ، كان عليه ان يفعل ذلك ولكنه قد اختارني وحدي ، ولعله عرف فيما بيني وبين نفسي اكبري الزائد لصاحبه المجيدة ، وتقديرى الجم لانسانيتنا الكريمه ، ومروءتها السامية فاراد ان اسجل هذه المواطف في سطور وما اخالني فعلت فعمجزتها الرائعة تحتاج لكاتب كبير .

الرياض - كلية اللغة العربية محمد رجب البيومي

كانها الله - ان انتقل الى القاهرة بمعونة دويهاى عمل ارقى بادارة البريد ثم انتسبت الى الحقوق ، وبذلت جهده المستحيل ، وهي معي في كل لحظة ، حتى نلت الليسانس بامتياز ، وكانت شهد الله ملاك الرحمة تظنني بجناحيها انى اتجهت ، فانا عيها ما حييت ! انا عيها ما حييت .

هذا كل ما اذكر من قصة سيف ! حتى فاجاني خطابه اليوم يطلب ان اكتب خارقته المعجزة ولا ادري لماذا اختارني وحدي فليست كاتب قصة ، وانا والله احاول ان اكتب

محمود العابدي

علمه وأدبه مخضرم بين فلسطين والأردن

بقلم عجاج نويهض



كان من معاني «المخضرم» «ولها معان جمة، الماضي نصف عمره في الجاهلية ونصفه في الإسلام، كما يقول الفيروز آبادي، وإذا كنا لا نتصد هنا بالجاهلية والإسلام غير الانتقال من عهد إلى عهد، فالأستاذ محمود العابدي، وهو من قرية «عصيرة الشمالية» في لواء نابلس، المصوب الجبين بالقول المأثور: «خيرهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام، يعد من خيرة عرب فلسطين المخضرمين الذين تناوحت رباحهم بين الصفين تناوحا جميلا تنورج نبراب علمه وأدبه بالثمانية والعشرين كتابا من كتب في التربية والتأريخ والأثار.

بإيجاز، حصل علومه في فلسطين، وولد في أواسط العقد الأول من هذا القرن، وتخرج من الكلية القبرية في القدس، الكلية التي كان يديرها المربي الكبير الأستاذ أحمد سامح الخالدي. وتقدم بان الخالدي رحمه الله، كان يدير «الكلية» خير إدارة، أن ألث التقرير الذي كان يثته في التلاميذ، والاكليز المسيطرون على البلاد لا يستطيعون احتراؤه بحال، كان بشا صافيا رائقا. وفي فلسطين من أول هذا القرن إلى منتصفه، ثلاثة كانوا فرسانا في ميدان التعليم الصحيح الناشئة العربية: الأستاذ نخلة ذريق (ألى أول العقد الثالث) وتلميذه الأستاذ خليل السكاكيني، والأستاذ أحمد سامح الخالدي. و«الكلية العربية» هذه في القدس كانت تسمى من قبل «دار المعلمين» فلما تسلم زمامها الخالدي، جعلها «معسعا» لتخريج الشباب العربي الواعي من طريق العقل والعلم. الأستاذ محمود العابدي أحد هؤلاء.

وانشئت بعد ذلك صلة كالعروة الوثقى بين الأستاذ وتلميذه: الخالدي حادى القافلة، والهابدي، وهو يعني: «سائق الاطمان يطوي البيد طي». ومن أول الأمر لما لج الخالدي النجابة المتوثبة في تلميذه محمود، اخذ بتفديده بالاطياب ويهديه السبل ويربده تبصرا بالأمر حتى بلغ التلميذ درجة الاستاذية، واكتملت له الآلة. ولكنه لم ينس شيئا من فضل أستاذه عليه. وقد كان الأستاذ الخالدي شديد الاعتصام بأهليه، وأهليه ان يرى الكتب

الباحثة في ماضي فلسطين، الكتب المخطوطة القيمة في بابها، مطبوعة، وكان عرضه من وراء هذا أن الصهيونية ما برحت تقالي وتزور وتزيف، وتتكبر ما لفلسطين من حضارة كحضارات الاقطار العربية الأخرى. فوضع العابدي كتابا قيما عالي القدر اسمه «أهل العلم والحكم في ريف فلسطين» ضمنه تفصيل ما انجبت لفلسطين في ريفها وقرائها، فضلا من مدنها، القدس أم مدالنها، وكبرى خزائنها، حيث أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، من رجال العلم الذين تولوا المناصب في الدول الإسلامية من الفتح العربي إلى انقضاء بساط الحكم العثماني قبل ٥٧ سنة. وهذا الكتاب على ما نعتقد يخلد به ذكر الخالدي أحمد سامح.

وإذا بكتابه هذا المخطوط يكشف للامة العربية ما قدمت لفلسطين على توالي العصور من أهل فضل وعلم وحكم وأدب وشعر وتاريخ وفقه وتفسير، لا في بيت المقدس وحدها، بل في غزة هاشم، وخليل الرحمن، ونابلس وبافا والرملة وعكا وصفد وطبرية وعسقلان وقيسارية. واستقى الخالدي هذا كله من كتب الطبقات والتراجم المعتمدة الطبوعة والمخطوطة، ونقل النصوص بكل إمانة بتضمينها العلم الصحيح. ورب الخالدي هذا الكتاب توثيقا رائقا، فعلق حيث جاء التعليق زيادة بيان وتوضيح، أو جلاء إبهام ليحل محله الصريح، وختمه بكتشاف (فهرس) لأهم ما ورد في الكتاب من اعلام اناسية أو مكشائية.

والفصول الأربعة من الكتاب عنيت بجغرافية فلسطين: الفتح والاجناد والتسمية والعائلات والانهار والأودية والميون والبحيرات والجبال والصحاري والأغوار والموارج والحصون والقلاع، وبتدء في الفصل الرابع بذكر أهل العلم والحكم على الحروف الهجائية، وأسماء الغلام في أول السطور بحروف سوداء والطباعة اتيقة والسورق صقيل.

فلما التحق الخالدي بالرفيق الأعلى في ايلول ١٩٥١ بالسكتة القلبية، في بيروت، وهو يعمل عمل الجبائرين في سبيل النجدة فخرت بفقده الامة العربية عالما علميا من مقامي علمائها، وقد أهل فلسطين النازحون الى لبنان خير حادب عليهم واكبر معاون، واقامت للخالدي في رام الله حفلة الاربعين، فهنا جاءت المناسبة الحسنة الطيبة للأستاذ العابدي أن يصنع شيئا لتخليد ذكرى أستاذه، غير ما ينشر في الحلقة من اقوال وأوصاف فائقه ان يكتبه تلاميذه ومحبيه بمبالغ تتفق في حب الأمور إليه، رحمه الله، وهو نشر المخطوطات العربية وما استطاع الى ذلك سبيلا. وبدأ الأستاذ العابدي بنفسه، وأخذ بالمسامي الحرية بان تحقق هذه الغاية النبيلة، ولا اشرف منها ولا أكرم.

ولعم السنون وتشرق الشمس وتقرب، وإذا

بالاستاذ محمد عبد الكريم العباسي ، يقدم الى الاستاذ العابدي صديقه ثلاثة دنانير كبيرة بخط الاستاذ الخالدي المقيم عند ربه في النعيم . ما هي تلك الدنانير ؟ هي « اهل العلم والحكم في ريف فلسطين » .

فانجال الاستاذ العابدي نظره المدقق في الصفات وهيها للطبع وصدر الكتاب في عمان ١٦٦٨ والصابدي وقتل « مدير دائرة الثقافة والفنون » ووزع الكتاب على عدد ضخم من أبناء فلسطين وتلاميذ الخالدي وعلى المعاهد العلمية والأدبية الثقافية واهل الادب والفكر في العالم العربي .

وهنا لنا شبه اقتراح : اتنا لا نعلم مقدار هذه الطبعة الاولى ، ونحسب ان تكون وافر . ولكننا نعتقد ان هذه الطبعة في حدود بضعة الاف لا اكثر . وفلسطين الحبيبة هذه المكتوزة تبعها في ريفها الى حد الروعة ، لم تبسط حقائقتها هذه مثل هذا البسط قبل ظهور هذا الكتاب . وما اجمل ان تصدر منه طبعة ثانية ، لا نقل عن عشرة الاف نسخة ، توزع توزيما واسعا على المساهد والجامعات والكليات في العالم العربي ، وعلى كبريات المحلات والصحف في العواصم والحوضر العربية ، فبان العرب انفسهم في هذه الافاق هم احوج الامم والشعوب ليعلموا على حضارة فلسطين الغالية في العلم والادب وتقلد المناصب في الدولة الاسلامية في فلسطين ومصر وبلاد الشام . ألم يقل صلاح الدين الفاتح المدعو الباني المنشئ لفلسطين ، المأوى للصليبيين ، ما مهمل ما نتجت البلاد سيفي بقدر ما نتجت بقلم القاضي الفاضل ، ومعه ذلك ان القاضي الفاضل من يسانن قربة بطرية ، وكهانة وزارته لصلاح الدين خيرا وبركة .

نعود الان الى الاستاذ العابدي من نواحيه الاخرى فصلته باستاذة الخالدي الى النهاية ، قد استغرق الكلام عليها معظم ما تقدم ، ولا تحب ان نقصه حق وهو قمة فضل وادب ، وسراج وهاج ، ومن الذي يشرب بهم الخمر في غزارة الانتاج وانتاحه حرير وديباج ، هو كما قلنا ، رجل تثقيف وتعليم وتهذيب ، وتأليف ، هو هكذا في الضفة لغربية ، او « فلسطين » التي لا اريد ان يفرق اسمها نبي ما حبيت . وبعد الانهيار انتقل بنشاطه الى مصفا يواصل المثابرة ، وتقلد عدة اعمال ومناصب في الدولة لاردنية حيث يرى عمله متناسقا مع كفاياته ، وهو منصب من اول امره على التاريخ العربي الاسلامي ، والثقافة التي هي ريق العرب وترباتهم ، الجامعة لهم في جميع آفاقهم ، العرب امة المستقبل ، واثق اسرائيل ومن وراءها راض ، ما اهتمم العرب بعرض هذه الثقافة .

بدأ الاستاذ العابدي حياته التأليفية منذ ما يقرب من اربعين سنة ، وهو في فلسطين ، وكل كتبه من امتصاص لتاريخ ، مثقفة ، للتعليم في المدرسة ولافراد اهل البيت جميعا ، اذ من كتبه ما هو اجدر الكتب العربية بالمطالعة

التي تعطي مطالعها عمقا وعمقا وتهديبا . والى السنة الماضية بلغت كتبه ٢٨ كتابا . وانك لتجد في مطالعة كتبه نوعا من اللذة « الروحية » ، فهو يكتب مواضيعه بعد تعمق الموضوع تمسقا ليس عليه من مزيد . واني هنا مختصر على ذكر اربعة كتب من كتبه الصادرة بين ١٩٧٠ الى ١٩٧٤ واتناولها لا لجرد انها حديثة الاخراج ، بل لانها ذات موضوعات شائعة .

« اجانب في ديارنا » : صدر هذا الكتاب سنة ١٩٧٤ في عمان ، وله خاصية تجعله شهي المطالعة جدا ، فالاستاذ العابدي في هذا الكتاب قال في مقدمته « اعترف ان ليس لي في هذا الكتاب سوى جمع المعلومات من مصادرها العربية والانجليزية لاسهل على الكثيرين الحصول عليها ، وقد جعلتها في متناول القارئ العربي » . هذا صحيح على ظاهره ، ولكن من يقرأ الكتاب يؤمن ان « مبلتيه » ليست من السهولة التي ترشح من كلام المؤلف ، وهو كلام جد متواضع . فهنا اقوال ومقالات وفصول وتقارير لنحو من ٤٠ رجالة من الرجال ورحلات من السيدات ، نقلوا في بلاد العرب وطافوا وجاسوا خلال الديار ، وهؤلاء كان منهم الصديق ، والسدو بثوب صديق . وتبدأ قصتهم من زمن الحروب الصليبية لتنتهي بالمعاصرين الحديثين ، من فليبي المسمى بالحاج عبد الله وتعرفه بالبلد العربية حق المعرفة ، ويوجد معاصرون كثيرون في العراق والاردن والسعودية بمرنون « السير جون طلي » معرفة بأمير ، « حنظل فليبي » ، ريسي كوكسي في العراق ، والمعاصرة له الاكاديمية ج. ز. ر. ثم قريبا ستارك في الحرب الثانية ، الى كوكبي د. وهذا الفنان اخوان كان ابوها مراسل رويتر في عمان الذي بقي في عمان الى يوم قريب . وما السباح الذي اختار الاستاذ العابدي عرضهم فقد كانوا في القرون الاخيرة ومنهم من استطاع الوصول الى مكة المكرمة متنكرا منتحلا الاسلام .

ومادة الكتاب كلها تقري بنفسها امام القارئ ولشدة ما بين موضوعاتها وحالتها في عصر انتهي فيه الخمول عندنا الى الحركة وازالة الضبابات من العيون بحسن العربي كل الاحسان ان يطلع على هذا الكتاب وهو في ٣٠٠ صفحة مع رسوم لمند كبير من المحكي عنهم والطباعة الرائعة والعجم من الوسط الكبير . وضع الاستاذ العابدي هذا الكتاب وهو « المستشرق الثقافي في امارة العاصمة » ، عمان .

« الاثار الاسلامية في فلسطين والاردن » : اخرج سنة ١٩٧٢ وهو في ٢٠٧ صفحات ، وكل هذه الكتب مثقفة الاخراج ومستوفية مستوى الفن . مادة هذا الكتاب بعضها مجموع من كتب وصحف ومجلات ومواقع بها ، وبعضها الاخر من وضع المؤلف وترتيبه . والذين نقل منهم الاستاذ العابدي عرفهم جميعا من المعاصرين كاحمد تيمور باشا واحمد زكي باشا (شيخ العروبة)

الارث

العام عام جديد ..
وما يزال لحننا المديد
كالأصلى لا زال رتيب الوقع
وجننا المسكين
يلمه بيت بلا شبك
ورغم انفاس الصباح ،
جننا لا يزال
يحكي لنا قصة فارس همام
لا يخاف الزمن

العام .. عام جديد
وما يزال لحننا لحننا حزينا مديد
وجننا .. مات ،
ومات كل شيخ عديد
والارث لا يزال في حقولنا يزهر ..

وجلة - الغرب محمد علي الرواي

والاستاذ عبد الله مخلص والاستاذ عارف العارف وسليم حسن وعيسى اسكندر المعلوف وجميعهم في الآجلة رحمهم الله ، والاستاذة عزة دروزة وديميتري برامكي ونقسولا زيادة امد الله في اعمارهم ، ويختص المؤلف بالذكر الاستاذ مصطفى الدباغ صاحب « بلادنا فلسطين » الموسوعة التاريخية الاقتصادية والحق ان كتاب « الانار الاسلامية في فلسطين والاردن » يتطرق بانار بلادنا الصامنة ولكنه جاء منها بالسنة ناطقة ، غلبة مطالعته .

« عمان » اذا كان لكل عاصمة من عواصم العرب تاريخ ، وعمان لم تكن في العصور الاولى الاسلامية من الحواضر والعواصم ، ولكنها لما اخذت من بعد الحرب الاولى تنمو وتوسع على غير توقف ، حتى بلغت مستواها الحاضر تما الاودية والشعاب والجبال ، بأجمل طرائق البناء الحجري البديع الشكل ، فبات بحاجة الى تاريخ يجمع شتات اخبارها الماضية والحاضرة ، وتبدي قصتها من عدة قرون قبل العهد المسيحي ، لتنتهي اليوم وهي من مرائس المواسم العربية . سيبك الاستاذ العابدي شذرات هذه القصة سبكا بديما محلي بالرسوم الواضحة . وعرض ادوار عمان منذ الفتح . والكتاب في صفحاته المجلدة كثير من صور الانار وتصف الكتاب تقريبا يتكلم من عمان الى الفتح الاسلامي ، ونصفه الاخر يبحث في العصور العربية الاسلامية حتى اليوم وفي آخره خارطة لمدينة عمان .

« محنة بيت المقدس » محنة بيت المقدس كلمة تلقي على الجراح لذكريات ملح ، والملم يكي ، ولا مناص . فيمد اجتراء الصهاينة على حرق المسجد الأقصى المبارك ١٩٦٩ كثر التطلع الى بيت المقدس والمسجد الأقصى المبارك ، والمصر . كما كثر واشتد شوق الناس ليزدادوا معلومات عن بيت المقدس . وفي الواقع ان الكتب والمؤلفات الموجزة والمطولة التي وضعت بعد حادث حريق الأقصى الى اليوم ، دلت على يقظة بالغة الحد في العالم العربي والاسلامي ، وبتى الصهاينة يتشامخون حتى جاءتهم حرب ومضان او تشرين فذاقوا ما لم يدوقوه من قبل . فجاء الاستاذ العابدي ، وهو ابن جديتها وقرسان الحلبة فوضع هذا الكتاب « محنة القدس » شمنه صفوة تاريخها وبسبب اخبارها ، مع مجمل خبر المتراكب بين العرب واليهود . ويصف المؤلف بالتفصيل كيف اخذ العدو الماكر يتحاييل حتى يصل الى وضع النار في الأقصى ، وفي هذا الصدد تقول ان من الكتب التي اطلعت عليها حول الأقصى والحرم القدس الشريف ، وبيت المقدس الى جانب « محنة القدس » الكتب التالية :

١ - كتاب من كتب « موسوعة المنيات القدسة » في بغداد للمؤرخ العلامة جعفر الخليلي ، وهو جزءان موضوعه « قسم القدس » والقسم الاول اشترك فيه مع المؤلف (الاستاذ الخليلي) ، كل من الدكتور عبد الهادي

التلطي « سفير العرب » في بغداد وقتئذ ، كتب فصل « حي المارية » والدكتور احمد سوسه (المهندس) كتب الجزء التاريخي وعنوانه « اورشليم الكنعانية » والدكتور سوسه هو صاحب تاريخ « العرب واليهود في التاريخ » الذي صدر في بغداد في مجلد ضخيم وكان مفاجاة لاهل العلم ومحبي التاريخ في الدنيا لكشفه كشفا رائعا عن اباطيل اليهود التاريخية وسفاسفهم ، وقد ترجم هذا الكتاب الى الانكليزية وصدرت منه بالعربية طبعة جديدة مزيدة . والجزء الثاني من كتاب « موسوعة المنيات القدسة » هو كناية عن نقل ما ذكرته المصادر الاجنبية عن القدس وقد قام بترجمة هذا تحت عنوان « القدس في المراجع الغربية » الاستاذ جعفر الخياط .

وقد وضع العلامة الدكتور حسن ظاظا استاذ العلوم اللغوية بكلية الاداب بجامعة الاسكندرية (والاختصاصي بتاريخ اليهود والفة العبرية) رسالة موضوعها « القدس - مدينة الله ام مدينة داود ؟ » رصينة ممتعة ، وهسي جوهر ولباب .

ووضع الشيخ طه الولي (في بيروت) رسالة محيطة جامعة في هذا الباب والله ولي التوفيق الغالب .

عجاج نوهي

راس التين - لبنان

ما يحدد تاريخاً لولادة المطوي ، أو تاريخاً لوفاة ، لكن الإصفهاني يذكر عنه في «الأغاني» (ج ٢٠) - ص ٥٨ - ط . يولاق) انه « بصري المولد والنشأ » ، وانه « كان شاعراً كاتباً من شعراء الدولة العباسية » ، واتصل بأحمد بن أبي ذؤاد ، وتقرب اليه بصدقه ، وقدمه بقوة جداله عليه ، فلما توفي أحمد قصت حاله ، وله فيه مدائح يسيرة ومراث كثيرة .



فوزي عطوي

أبو عبد الرحمن العطوي

بقلم فوزي عطوي

وإذن ، فقد عاصر المطوي أبا عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، والبرد ، والافخش ، والوزير محمد بن عبد الملك الزيت ، والقاضي أبا يوسف ، ويزيد بن هارون ، والسري بن عديويه ، والحجاج بن محمد حماد بن سلمة ، وأبا بكر عبد الله بن داود السجستاني ، ويونس بن الأزرق (ابن أخت الجاحظ) ، ومحمد بن عبد الله بن أبي الدلهاب ، وأبى يعقوب الخزيمي ، والفتح بن خاقان الوزير ، والرئيس أبا الفضل بن العميد ، وأبا القاسم السرياني ، وأبا مفضل عبد الله الخولي والمتطبب ، وغيرهم من أقطاب العلم ، والأدب ، والسياسة . ولعلنا لا نخفي التقدير ، بالاستناد إلى ما أورده محمد بن داود في كتابه « الشعراء » من ذهب المطوي في شعره مذهب أصحاب الكلام ، وإلى ما أورده البرد في كتابه « الكامل » من صيرورة المطوي إلى « سر من رأى » انه كان وثيق الصلة بالجاحظ ، وبالمستزلة بصورة عامة ، لا سيما وأن الجاحظ ، على ما رواه الخولي ، كان بعداً أصيب بالفالج ، مقيماً في « سر من رأى » التي أصبحت تعرف بهذا بعد باسم « سامراء » .

أسمه ونسبه : أما اسمه ، فهو كما أورده صاحب « الأغاني » : محمد بن عبد الرحمن بن أبي عطية مولى بني ليث بن بكر بن عبد منباة بن كنانة ، ويكنى أبا عبد الرحمن .

وليس في هذا التعريف ما يشير إلى أصل نسبه ، لكننا نؤكد ، اعتماداً على كتاب « بلوغ المرام في شرح مسلك الختام في من حكم اليمن من ملك وأمام » الذي وضعه حسين بن أحمد القرشي ، وعني بشره الأب أنستاس ماري الكرمل (ص ٤٣٠ - الفهرس ١٨) ط . ط . البريتري بالقاهرة (١٩٣٩) ، أن المطوي يما إلى الأصل ، وأن لفظة « المطوي » - عني مما ورد في الكتاب المذكور - تعني « قصب السكر الأحمر » ، وقد أطلقت اللفظة - على ما يلحظ إليه المؤرخ العلامة الشيخ محمد طه الولي - على قوم كانوا طوال القامة ، عذاب الحديث ، وذوي وجوه مشربة بالحمرة ، يؤكد ذلك أن ذكر اللفظة في الفهرس الثامن عشر من « بلوغ المرام في شرح مسلك الختام في من تولى اليمن من ملك وأمام » قد ورد في سياق سرد عدد من الألفاظ اليمنية ، « وتوقفاً عليها لم يبريد أن يعترف أمثلة من لغة اليمانيين » (الفهرس ١٨ - ص ٤٣٠) .

لكن المطوي ، وإن انتسب إلى أسرة يمانية الأصل ، فهو قد ولد في البصرة بالعراق ونشأ فيها ، كما ذكر

ورد في كتاب « الشعراء » لأحمد بن داود قوله يصف أبا عبد الرحمن المطوي : « كان له فن من الشعر لم يسبق إليه ، ذهب فيه مذهب أصحاب الكلام ، ففاق جميع نظرائه ، وخف شعره على كل لسان .. واستعمله الكتاب واحتدوا معانيه ، وجعلوه أماماً » .

وحدث أبو العباس محمد بن يزيد البرد ، صاحب « الكامل » عن المطوي ، قال : « كان المطوي ، وهو عتقنا بالبصرة ، لا يتلق بالشعر ، ثم ورد علينا شعره لما صار إلى « سر من رأى » ، وكنا نتهاداه .. وليس له قول يسقط » .

أما أبو الفرج الإصفهاني ، صاحب « الأغاني » ، وأبو علي القالي ، صاحب « الأمانى » و « ذيل الأمانى » ، وأبو منصور الثعالبي صاحب « الأمجاد والإيجاز » ، فقد أوردوا كثيراً من أخباره وأشعاره في مصنفاتهم ، كما روى شعره وطرائفه كثيرون ، من أمثال الإفش الشاعر ، وطلي بن سليمان بن الفضل الكاتب ، ومحمد بن مزيد ، وكوثرة المطوي أخي أبي ميسد الرحمن ، وأبو يعقوب اسحق بن الضحاك بن الخصيب الكاتب ، ومحمد بن السري السراج ، وأبو الحسن بن جعفر حنظلة البرمكي وغيرهم . عصره ونشأته : ليس في المراجع التي بين أيدينا

« الأصفهاني » ، ومن المؤكد ان اجداده الاقدمين كانوا في عداد من حملتهم الفتوحات الإسلامية من الجزيرة العربية فاستقر بعضهم في العراق ، وانتشر بعض هذه الأسرة في لبنان ، وفلسطين ، ومصر ، وانتقل بعضها الى المغرب العربي ، ولا سيما « الجزائر » .

من طرأ عليه : روى كثرة أخو العطري عنه هذه الطرفة ، إذ قال : كان أخي أبو عبد الرحمن يشرب مع اصداقائه من الكتاب ، ومعهم قينة يقال لها « مصباح » من احسن الناس وجها ، واطيبهم غناء ، فما زالوا في قصف وعزف الى ان انتقطع ... فبقوا حيارى ، وكأوا قريبا من منزل أبي العباس أحمد بن الحسين بن موسى بن جعفر بن محمد الماوي ، وكان صديقا لأبي عبد الرحمن (العطوي) ، فكتب اليه :

يا ابن من طاب لي المواليد صد
انا بالقرب منك منه كوكب
قد اذهت عليه شهب سنيه
عاد منها الفقيه في فقيه
تفجيتني ، وابن تقي في الفهم
جلس كالرياح حسن ، ولكن
وباشياك اكرام الى السؤدد
ان تبصرتني ، وان كنت الا

فلما وصلت الرقعة الى أبي العباس ، ارسل اليه براوية شراب ، فلم يزالوا يشربون مجتمعين ، حتى نفذت في أخفض ميش (الإغاني ج ٢٠ - ص ٥٩ و ٦٠)
ومن الواضح مدى تأثير العطوي (البيت الثالث) في قول الشاعر :

« قل للملحة في الغمار الاسود عاذا فلت ينسبك متعبدا ،
ومما رواه كثرة العطوي من أخيه ايضا قوله : كان لأبي عبد الرحمن صديق من الأدباء ، وكان يتعشق جاريه من جوارى الفتيان ، يقال لها « عثمت » وكان لا يقدر عليها الا على لقاء عسر ، واجتماع يسر ، فارسل اليها يوما ، فاحضرها يوم رداؤه من الطبيب والحسن ما الله به عليم ، فكتب الى صديقه يعرفه الخبر ، ويسأله المصير اليه ، ووصف له القصة بشعر فقال :

يوم عسر ، ويش نفعي ، ... سمور ، والسر تفور
ودنت ثنائي اذا جئتنا فسمع منها غناء يصور
ومني وعندي ما تشتهي شمر يسر ، وهم يسمر
والا كان هذا كما قد وصلت غنان التفرق طيب كسر
فلم تصبغ قبل فوت الزمان فان زمان التماسي المسمر
فسار اليه صاحبه ، فمر لهما احسن يوم واطيبه .

ويردف الاصفهاني معلقا على هذه الابيات : وهذا الشعر اخذه العطوي من كلام اسحق ، اخبرني به وسواسه بن الموصلي عن حداد عن أبيه ، قال : كان يالتي بعض الاعراب ، وكان طبيا ، فجاءني يوما ، فقلت له : « لم ارك امس » ، فقال : « دماني صديق لي » . فقلت : « صف لي ما كنتم فيه » . فقال لي : « كنا في مجلس نظامه سرور ، بين قدور تفور ، ... تدور ، وغناء يصور ، وحديث

لا يجور ، وندامى كأنهم البدور » .
قال اسحق : وقلت لبعض الاعراب : « طبك امس فلم احلك ، فابن كنت؟ » قال : « كنت عند صديق لي فاطمعي بنات التنابير ، واطمعي امهات الباتير ، وحلواء الطناجير ، وسقاني زعاف القوارير ، واسمعي عداء الشادير ، الفزير ، على الميدان والطنابير ، قد ملكت باوقار الدرهم والدينارير » .

وروى ابو الفرج الاصفهاني ، قال : قرأت في بعض الكتب ، بغير اسناد ، ان العطوي كان يوما جالسا في منزله ، وطرقه صديق له ممن كان يفني « بسر من رأى » ، فقال له : « قد اهديت اليك جوارى اليوم » بكفك ، وحسبك بالكفاية . واقام عنده ، فدخل عليه ... احسن من القمر ، فاحتسبه ، وكتب العطوي الى صديق له من أهل الادب :
يوسف طيب ، حسن التفسير وهبت الارطس ...
مما ترى البرق كيف يلعب فيه ودرشا يسيل في الصافات
ولدينا طي غريز ... لست غنينا به من الغنيمات
ان تغفلت بعدما نعل الرقعة غنا ، فالت في الاسسواب
فاجابه الرجل فقال :

انا في الرقعة ، فاعلم ذلك سلس اتسبي من البيت
فلاهم المشر بيتنا ، لا نل في قد تثلثت فاصرف بعيتي
لا سر ، لكن لاتمع تفسر . بعيت القيس الغرير الهواني
ومثل هذه المحاورات كانت ، ولا ريب ، مألوفة الاسلوب والمضمون ، في العصر العباسي الذي شاعت فيه للمجون والبيت « مشروب والوان » .

في وصف الجالسي : وعلى الرغم من ان البرد يذكر في « الكامل » ان ابا عبد الرحمن كان مقفرا عليه ، دفر ، وسخا ، منهوما ... ، فقد ثبت انه كان للشاعر ، في وصف الصبح وذكر الندامي والجالسي احسن القول ، وليس له قول يسقط ، فمن ذلك قوله :

فيثي ابي احدى السبل فولا ، وطعنا ، وعسل
فكلنا الله ، لقد سياتك احدى الفصل
تقول : هلا رحسلة تنكلسا حمر تقسل
اخشى علي جالسلة الاسال جسوال الاجسل
ومنها قوله (الإغاني ص ٥٧ - ج ٢٠) :

... والتعسان احسن منزرا ، كبل ملتف الصداق راسق
فعاذا جمعت صفاء وصفاه فارجع بكسل علسة من خاسق
وبعد ان ثبت الاصفهاني هذين البيتين يردف :
« الشعر للعطوي ، والغناء لبنان ثقيل ، اول بالوسطى ، وفيه لذلك وجه الدرة خفيف ثقيل » .

ويذهب ابو منصور الثعالبي في الباب الرابع من كتابه « الامعجاز والابجاز » ، وهو الباب المخصص بملح الظرفاء ونواديرهم (ص ١٩١) الى ان من احسن ما قيل في مدح الصبح ، قول محمد بن عبد الرحمن العطوي :
ان شرب سبي لي القهو وخمر الكسر صدر النهار
وفرله :

ما ترى يومئذ ومن ابتداه ونسدى ارضه ، وهطل سماءه

وقوله ايضاً :

ان صدر النهار اضر شطريه كما نضرة النسي في خناله
وقد انشد « الاخفش » وغيره من شيوخ الادب
للمطوي في التذمان ... مما يعني فيه :

فكم قالوا : نعم ، فقلت كاس يطوف بها فليب في كتيب
وتذمان سافطني حديثاً كلف الحب ، او لخص الرقيب
وقد ذكر لي الاب المحقق يوسف عون الذي اعاد
تحقيق مختارات من « الاغانى » ان هذين البيتين هما من
اروق الشعر ، في موضوعهما ، في الادب العربي اطلاقاً .
ويوضح الاصفهاني ، بعد هذين البيتين المثبتين في الاغانى
ان « الغناء في هذين البيتين الذكاء وجه الغرة ، خفيف
رمسل » .

وفي وصف القيان : وروى ابو يعقوب اسحق بن
الضحاك بن الخصيب الكاتب ، قال : جساءني يوما ابو
عبد الرحمن المطوي ، بعد وفاة عمي احمد بن الخصيب
بستنتين ، وكان صديقه وصنيعته ، فجلس عندي يحدثنى
حديثه ، وتبكي ساعة طويلة ، ثم تقبضت السقاء ، وهطلت
فسالته ان يقيم عندي ، فحلف ان لا يفعل الا بعد ان
احضره من وقتي ما راج من الطعام ، ولا تكلف له شيئاً ،
ففعلت وجنته بما حضر ، فقال لي : « ما فعلت «عقد» ؟
قلت : « باقية » ، وهي في يومنا هذا مقيمة عندي ، والساعة
تسمع غناها . » فقال لي : « عجل اذن ، فان النهار
قصير » .

ثم انشأ يقول :

اود ... قد نصالي النهار ما ريمتني الهيموم ...
صاح هذا التمسك فادب عليها ان يسامه ليدلها قصار
كي شيه الله من يوم دجن فيه ... على اشداس تسار
وليان كانهن جيسم ... فبالا فلن قالت الاوار
في وصف الاصدقاء : ومن قلاله المطوي قوله
(الاعجاز والايجاز - ص ١٩٢) في الاصدقاء :

يقولون قيل السار جبار موافق وليل طريق الفرد اتس رفيق
فكملت وتذمان الغنى قبل ... فما حب ... كره مثل صديق
ومن غرر احاسنه في ذم كثرة الاصدقاء (المرجع
السابق) ، قوله :

لم اجد كثرة الاخلاص الا تسب النفس في انفس الحقوق
فاصرف النفس من كثير من الناس فسا كل من تسرى بصغيري
في الاستزارة : ويؤكد « الثعالبي » انه لم يسمع
« في الاستزارة اللطف واظرف من قول المطوي » :

كنت الهوى بقلبي وعشت ما شئت بعدي
احببني النسي اعني سليلك منك ودد
ارق من لطف صب يشكو حرارة وجهه
كانه ، ان يحسنا ، يسلا التمسك وود
فما طلع عيسى سروراً بكوتك ، اليوم مندي

من وحي عمر بن الخطاب : قد روى علي بن سليمان
قال : حدثني محمد بن يزيد قال : سمع المطوي رجلاً
يحدث ان رجلاً قال لعمر بن الخطاب : « ان فلانا قد

جمع صلاً » ، فقال عمر : « فهل جمع له اياماً ؟ » فأخذ
المطوي هذا المعنى ، فقال :

ارفع بعيشي لتي يبدو على نقة
فالعرى تنسه معون لا ينفسه
جصمت مالا ، ففكر هل جمعت له
السال منسك مغزون لوارسه ،
في صداقة الابداء : وذكر ابو الحسن احمد بن جعفر
حظوة البرماني ان ابن المطوي انشده قول ابيه عبد الرحمن
(ذيل الامالي ، لابي علي القالي - ص ٩٢) :

احسن من غسلة الرقيب ولطفة الوعد من حبيب
والترق والتفهم من كصاف صبيحة السؤل والقصيب
ومن بنات القرم راحت في راحتي شادن رقيب
كتب اديب الى ادريب طالت به مدة الغيب
فتمت كفه سطوراً تنسق الصلوة في القلوب
يا باناً بالكتاب غسلا والفصل من شيمة الاديب
نحن على السوء ، اي شيه الببح من غسان ادريب
منحت فيلي ميسوس وجهي وسألني شمة القلوب
ومشت في الناس مشهماً يسا اطوع الناس الرقيب
ان كان ودي الحسول ودي قصر من بسامه الرقيب
واتت منهم ، فكن قريباً او لتليسا واقر النصيب
وابسل ما شئت وصف ودي تعبه في لسويه القصيب

في الرثاء : ومما انشده الاخفش ، من كثره اخي
المطوي ، في رثاء احمد بن ابي ذؤاد الذي كان الشاعر قد
اتصل به ، واقترب اليه بملذبه وقدمه فيه بقوة جداله
عليه « كما يقول الاصفهاني ، قول ابي عبد الرحمن
المطوي :

اخطفه يا قصي بالكاكفور وزلفاته المثلل المهجور
هلا يبعث قصائله حنظلنه فيسوع القى مشائل وكيور
قاله لو من نسر اخلاق له يعزى الى القديس والتغير
حنط من سكن الترى وعلااري حنط من سكر الفؤاد
فالحب كما لعب الوفاء فانه تسودوه صفة لنشور
والحب كما لعب الشباب فانه نحيبت به ربه عبا ودبور
والله ما ليته لا يزيد قد كان خير مصاحب وشير
ولكن نلته الصدور شربا ، ولكن نلته الصدور

ومن طريق ما تذكره ، في هذا القام ، وقوعا في خطا
نسبة هذه الايات الى المطوي في رثاء اخيه كثره ، في
كتابتنا « ابن الرومي شاعر القربة النفسية » (ط بيروت
١٩٦٩) ، والصحيح انها في رثاء القاضي احمد بن ابي ذؤاد
ومرد هذا الالتباس الى اننا في إحدى طبعات « الاغانى »
كنا قد قرأنا قول الاصفهاني ، في مجال سرده لاختبار الشاعر .
« فلما توفي احمد نقصت حاله ، وله مدائح يسيرة ومراث
كثيرة ، منها ما انشده الاخفش من كثره اخي المطوي » ،
وتلي هذه العبارة آيات المطوي الرثائية ، فحسبنا في
رثاء اخيه كثره .

لكننا لاحظنا في طبعات اخرى ، ومنها طبعة « يولاق
التي بين ايدينا » سقوط لفظة « فيه » من عبارة « ولده
فيه مدائح يسيرة ومراث كثيرة » ، فظهر لنا ، بعد فوات
الآوان ، وجه الصواب ، وحسبنا استمدراك الخطأ ، بعد
حين ، بدلا من الاغضاء عنه ، والابقاء عليه .

بهوى الحصان ، فقلت : انه
يخطرن دلا ، صدقته
في القلب ادغاما بنفسه
من قبل ان يشقى بهنـه
شان القلوب بلا اعنـه
فكك العيون النجل سنه

محمد العدناني

قالوا : فؤادك مولع
لما القلباء بدون لي
ادغمتهن صباية
ففتكن يابن اضالعي
وقضى شهيدا في الهوى
وهلاك اهل الشعر من

الا ان يكون للمطوي (وربما للاخفش) اخ اسمه « احمد » .
في الرد على هشام : وقد ذكرنا ، في مطلع هذه
الدراسة ، ماورد في كتاب « الشعراء » لمحمد بن داود من
كون المطوي صاحب « فن من الشعر لم يسبق اليه » ذهب
فيه مذهب اصحاب الكلام ، ففاق جميع نظرائه . . .

ومما ذكره ابو علي القالي في « الامالي » (ج ٢ - ص ٢٣٢)
تحقيق عنوان قصيدة المطوي في الرد على هشام ومن قال
قوله : « ... »

جل رب الانبياء والاعصام
جل ربى عن كل ما اكنـه
بركه الله من هشام ومن
اي زاد تيزونه بسده
سوف تلقاه ، حين يلقاه نـار
كسم شديد الضاد الاسلام
كهنـام ، فانه خلق الربـية
فلن قال قوله وراءه
لسم الكثر ان يكون معيـبا
لسم اكتر قول من عبد الشمس
ان نرم بينهما الفـلا فـيهـات
ما الدليل البين من حدث العالم
لا دليل فلا ترمـه وقد لـتـه
لسم رد غير فـعة المـلقـا فـاقـصـد ، دع مناصفات الكلام

وبعد ، فهذه طرف من حياة محمد بن عبد الرحمن
المطوي ، الشاعر البصري العباسي ، ونماذج من اشعاره
واقواله التي ليس له منها قول يسقط . كما قال « المبرد » ،
ولولا ان مشني « الاديب » الاستاذ الكبير البير اديب
اغرائي بجمع بعض ترائه ، لكان الحرج ، واقـله حـرج
الانتساب للآصرة ذاتها ، وقف حالنا دون اضافة هذا
الشاعر والتعريف به .

فوزي عطوي

ونضيف سببا آخر لوقوعنا في هذا الالتباس ، وهو
الابهام الذي اكتنف ورود هذه الابيات ذاتها في الجزء الثاني
(ص ١٠٣ و ١٠٤) من كتاب « الامالي » لابن علي القالي ،
اذ قال القالي :

« وانشد محمد بن السري السراج لابي عبد الرحمن
المطوي » ، ثم ذكر الابيات ، دون ان يوضح المناسبة او
الموضوع الذي تدور حوله ، ولكن الابيات المذكورة في
« الامالي » تختلفني بمضى الفاظها عما قرى بذكر في « الامالي »
فلا ضمير من انبأها ، مجددا وفقا لرواية القالي :

حطسته يسا نصر بالكافور
هـلا بعض غـلاله حـطـتـه
تالله لو ينسيم اخلاق له
تـعـزى الى انـقـديس والتـطـور
طـيـبت من سـكن التـرى وعـلا الـربى
تـتـزودوه صـفة لتـشـور
فـسـاذـهـب كـما ذـهـب الوـفـاء فـانـه
قد كـان خـصـر مـجـاور وعـشـير
والله ما ابنته لآرسيـده
شـرفـا ، ولـكن نـفـة المـصـدور
وان من مراني المطوي لاحمد بن ابي ذؤاد ، ما انشده
له الاخفش ، حيث يقول :

وليس صير النصن ما تسمونه
وليس نسيـم المـسك رـيا حـنـوه
ويذكر القالي في « الامالي » (ج ١ - ص ٣٢) شعرا
رتائبا للمطوي فيقول :

وانشدنا الاخفش للمطوي يرثي اخاه :
لقد باكـته بالسلام المـواول
فما رقت منه الدموع الوهاول
ايـنـي جـيـل العـبر من هـد رـكـته
وهيـض جـنـاحـه ، وجـد التـامـل
امن يـمـد ما ذاق التـيـبـه اـحـمـد
طـيـب لـنا الدنـيا وتـصـول التـامـل
كـان لم يـكـن لي خـير خل وصـاهـب
وغير طـيـب تـقـيـسـه للـقـول
كـسـان ابا العـباس لم يـلق فـيـهـه
بـشـر ، ولم يـرحـل بـجـودـاه وادـل
وتحـن لا تـسـتـعـيد ان يـكـون هـذا الرثـاء ، هو الاخر ،
في احمد بن ابي ذؤاد ، لقرائن كثيرة غير خافية في الابيات ،

تجد هذه المشكلة التي تعرض الموهوبين من الادباء ليست بذات موضوع رغم ما يبذله المجيلي من جهد شاق ومضن كل ساعات النهار ، وما ينتظر في ساعات الليل من مفاجات بحكم عمله كطبيب ، كان وحيدا لفترة طويلة في المنطقة التي يقطن فيها ، وما يقوم به من رحلات كثيرة داخل الوطن وخارجه .

ان طبيعة المجيلي الميالة للعزلة والتفرد قد ساعدته على ان يتجاوز مشكلة الوقت ويتخطاها ، وان كان في اعماقه يطلب المزيد من الوقت والفرصة ليكتب كثيرا ، ويتأمل اكثر ..

وهذه الطبيعة الميالة للعزلة والتفرد جعلته يحذ من ارتباطاته خارج الاسرة والبيئة ليفرغ الى عمله الذي يؤديه بمهارة واتقان ، وابداعه الذي يمارسه بموهبة واقتدار . انها طبيعة منظمة على اية حال ، تقسم وقتها بالتقسطاس بين العمل والادب ، وبين الحياة بشاغلها ومطالبها ، والفكر باشجانته وهمومه .. وآماله ومطامحه .

ولكننا الان مطالبون بان نلقي الضوء على حياة المجيلي الطبيب وعلاقته بالادب من خلال الطب مهنة وممارسة ، ونرى الى اي حد استطاع ان يفيد منها او يفقد بسببها في بلدة « الرقة » الراضية على نهر الفرات العظيم .

والمجيلي - بداية - بذلك موهبة الاديب ، وقد عرفناه منذ صباه بتعرض لحركة جزر ومد في حياته التعليمية ، وتعارض في الرغبة بين اهله وبينه .. حتى استقر اخيرا طالباً في مدرسة الطب بمدينة دمشق الفخيمة .

خلال فترة التلمذة الطبية استطاع المجيلي ان يحس بنفسه شاعراً ناشئاً ، وقصاصاً مقلداً ثم مبدعاً .. فيكتب بعض القصص القصيرة للمسابقات الادبية ، ثم يكتب مقامات قصصية يستلهم معظمها من واقعه في حياة الطبيب الجديدة التي يعيشها (١) . وقد تأثر في المقامات تأليفاً واضحاً بحياة التلمذة وما يجري فيها بالإضافة الى انها كانت تجربة زاوج فيها بين جنتين ادبيين ، اقصد الشعر والنثر معا ، مقتنيا في ذلك خطي الهمداني والحرييري وغيرهما .

بعد ان المجيلي بعد ان انتهى من دراسة الطب ، وخروجه الى الميدان العملي ، والممارسة العملية لمهنة الطب بدأ يتقدم بمجلة تزايد به نحو ترسيخ موقفه كاديب ، يزداد اتقاناً في مجال القصة القصيرة ، والمقال ، والحاضرة ، بعد ان هجر الشعر او كاد مخلفاً ديواناً وحيداً اسماء « الليالي والنجوم » . وان كنا لا نستطيع الحكم عليه كشاعر - حكما متكاملاً - لاننا لم نطلع هذا الديوان ، كما ان بعض القصائد التي طالعناها لا تكفي ايضاً للحكم على شاعريته ، بيد انه كأي فنان تعمل مع الجنس او الاجناس الادبية الاقرب الى روحه وذاته ووجدانه ، ومن ثم وابتهاها تبرز في دنيا القصة القصيرة بالذات ، وفي الرواية بعد ان دخل مرحلة الكهولة وطلع علينا برائعته المسماة « قلوب على الاسلاك » (٢)



الدكتور عبد السلام المجيلي

المجيلي بين الطب والادب

بقلم حلمي محمد القاعود

اشتهر عن بعض الادباء او معظمهم انهم لا يلقون اهتمامهم لما يدور خارج نطاق الادب ابداعاً وفكراً ، ولو كان عملهم الذي يقتاتون منه ويعيشون عليه ، وقد شهد لنا التاريخ المعاصر بعض الامثلة التي عاشها بعض ادبائنا المبرزين وجر عليهم استغراقهم في عالم الكلمة الكثير من المناسبات والشغلات ، لان ذلك الاستغراق دفعهم الى ما يسميه القاتون اعمالا في العمل . ولعل اشهر هذه الاسئلة ما نقل عن الاستاذ ابراهيم المصري الاديب المشهور ، وكان موظفاً صغيراً في احدى المصالح الحكومية ، كان يستغرق في القراءة والتأمل الادبي حتى تعرض للفصل من عمله ..

والاديب اذا لم يجد عملاً يتلاءم مع حرفة الادب كالصحافة او التحرير في وسائل الاعلام المختلفة ، فانه يؤدي عمله الادبي بصعوبة بالغة ، لان الجو الملائم لن يتوفر له عندئذ .. ولن تكون لديه القدرة على المعطاء ، وقد فكرت بعض الحكومات في حل هذه المشكلة حين اعطت بعض الادباء التاهيلين فرصة التفرغ لفترة زمنية يستطيع خلالها ان يمارس الكتابة لابداع عمل ما . ولكن هذا التفرغ المحدود لن يحل مشكلة الموهوبين من الادباء بحال من الاحوال .. بيد اننا ازاء الدكتور عبد السلام المجيلي ، سوف

الواضح في مسيرة العجيلي الأدبية استفادته من مهنته كطبيب ، وقد استخدم من هذه المهنة معينا لانضبط لكثير من كتاباته التي امتع بها القراء ، وكانت في عمقها البعيد رؤية اجتماعية - شئنا أم أبينا - لحاضر قطاع من السكان في موقع عربي ، قد يتماثل كثيرا مع بقية المواقع .

لقد بدأ العجيلي مهنة الطب في بلدته « الرقة » على نهر الفرات ، بالقرب من الحدود العراقية السورية التركية وتقع في منطقة صحراوية بدوية ، خلت من الاطباء في زمنه فكان الطبيب الاوحد داخل دائرة قطرها يزيد عن المائة كيلو متر في بعض الاحيان ، وكان المرضى يأتونه من الصحراء في الدولتين المجاورتين حيث تتلاشى الحدود في الواقع وتبقى على الخرافات فقط . الا ان العجيلي لعب دورا كبيرا في علاج اهل بلدته « الرقة » بالدرجة الاولى ، وبحكى لنا كثيرا من المفارقات التي حدثت له لتوحده او وجوده كطبيب وحيد هناك - من ذلك مثلا ، ما حدث في ليلة عيد ، حين اضطر للقيام بواجبه ازاء ثلاث سيدات حوامل جاءه من المخاض في لحظة واحدة ، وكان من اللازم عليه ان يعالجهن معا مع اختلاف امكنتهن فهذه في عيادته ، واخرى في أقصى « الرقة » ، والثالثة في مكان بعيد من الاثنين ، مع افتقار سيارة او وسيلة مواصلات وكانت ليلة سهر مضن حتى مطلع الصباح - صباح العيد - (٢) يقول عنها :

« كانت ليلة عيد كما قلت . عدت الى داري مجهدا ، ولكني لم استطع النوم . لم يكن هنالك وقت للنوم فتعبدت المسجد عند طلوع الشمس لاشرك الله في صلاة التهجد متعبا ، غير ان نفسي ، كانت مملوءة بالآسى ، وبالشغلة لشعوري اني بوسائل القليلة والفقيرة ، وبميلي الزهيد ، قد ادت في هذه الليلة الطمانينة والبشر الى نفوس افراد اسر ثلاث ، ومسحت الالم والتلق عن مشاعر امهات ثلاث وازواجهن ، واهنت ثلاثة مواليد جدد على ولوج باب الحياة بيسر وصحة . وكان هذا لي ، بعد تلك الليلة البلاء ، عيدا أخسر » .

ومع الوحدة وافتقار المواصلات في « الرقة » فان العجيلي يرصد اشياء اخرى اشد قسوة وعذابا بالنسبة له وللمجتمع : انها تتمثل في الجول ، والدجل ، وقلة الوعي . . . لقد سجل ذلك في سلسلة من المقالات المتمعة اسماعها « عيادة في الريف » يستمد لأحراجها في كتاب بهذا الاسم ويمكننا ان نأخذ امثلة سريعة على بعض هومو التي ارقته نتيجة الاشياء التي رصدها .

دخل عليه بدوى ومعه اهله ، كان امر الرجل مفاجئا ، في جنح الليل - ليل البادية - التي يظننها هذا الرجل تعرض لعضة حيوان مسعور مصاب بالكلب ، وكان سهلا ان ينجو الرجل من هذا الرض المخيف لو انه عرض نفسه على طبيب في الاسبوعين الاولين من حادثة العض ، وكان سيعالج الرجل مجانا ويتوقف نمو الداء في دور الحضانة ويسلم المريض . ولكن هذا المريض لم ير طبيبا لان اولاد الحلال -

كما اسمتهم زوجته - اشاروا على اهله بان يتداوى عند « الجنيدات » . والجنيدات فرع من شعيه مشايخ ينسب الناس اليهم القدرة على شفاء المصابين بالاضطرابات العصبية . ويدأبون المرضى بالقرائدات او بحفلات الذكر او بالتقييد بالحديد والكي بالنار والصنع بالنعال ، وكان ان عالجوا هذا البدوي بشعوذاتهم فاستفحل المرض ، واصيب الرجل بعذاب العطش والخوف من الماء والهيجان والسقم الاختناق ثم الموت الذي لا نجاة منه .

لقد لجأ اهل الرجل الى الدكتور العجيلي بعد ستة وخمسين يوما ، كان من المستحيل على الطب ان ينقذ الرجل لان الداء قد استفحل ، ولم يبق للمريض الا ايام قليلة ثلاثة او اربعة اذا كثرت . ولكن الرجل ذاق الحياة بعد يومين « ضحية غصة الحيوان المسعور ، وضحية الجهل المطبق » كما يعلق العجيلي (٤) على هذه المأساة ! ويقول العجيلي ايضا خلال روايته لهذه الحادثة ، قلت لاهل المريض ، اما كان في وسعكم ان تغفروا الى معالجة الجنيدات معالجة طبية مجانية تتولاها الدولة في كل مكان . وبطية خاطر ، ولا تكلفكم فلسا ؟ قلت هذا وانا اندكي ما قاله عمر بن الخطاب حين مر بأحد المسلمين فرأى ابسه مصابا بالجرب ، فسأله : بماذا تتداوى اباعرك من جربها؟ قال الرجل اني ادعو الله لها . فقال عمر رضي الله عنه : اجعل من دعاك شيئا من القطران ! ماذا اذن لو جعل هؤلاء الناس مع دعاء الجنيدات وقرعهم تلك الحقن التي تقيتلت حياة عشرات الآلاف من الناس في مختلف بقاع الارض ، حتى اكتشف باستور اكتشافه الرائع في معالجة داء الكلب !!

لا شك ان العجيلي يطمح الى سيادة الوعي والفهم لدى جمهرة الناس ، ويؤرقه كطبيب وانسان بالدرجة الاولى ، ان يتجه الناس هذا الاتجاه المتخلف في علاج امراضهم واصاباتهم . ومن ثم قاله بحمل ضاربة على الدجل والدجالين ، وبحكى كثيرا من نوادرهم في سلسلة « ميادة في الريف » وكذا في محاضراته الاولى بكتابه « السيف والتابوت » والى قطع ادبية رفيعة بكل مقياس . وهو يرى ان في الريف عوامل كثيرة تجعل المرضى ، بكل انسواع المرض ، يتأخرون في استشارة الطبيب او لا يستشيرونه ابدا . ويقدم لنا العجيلي نماذج من الدجالين الذين يجعلهم درجات ، فهناك فئة خطيرة من المتطببين المشعوذين الذين لا يقتنعون بكسب لا مشروع ، بل ينفون هذا الكسب بتصرفات لاسانانية مجرمة (امثال « على الشدأخ الذي احتجز طفلا مريضا ثلاثة ايام استفحل خلالها الداء فسي الجسد الصغير النفس ، وحولت فيه جرائم المكورات السحائية صانوا الدماغ الشوكي الى مادة قسحة) وهناك ايضا فئة اقل خطرا بمقياس مدى الضرر الذي يلحقونه بسطاء الناس ، فهم اقرب الى الانسانية من بعض اخر ، لجرد انهم اقل ضررا بعامة قاصديهم واهون شررا (امثال « السيد حسين » كان ممرضا اقتبس من الطبيب العسكري

معدته ، واصر المسؤولون في المستشفى على دفع ثلاثين جنيها قبل اسماحه وبدا لم يجد اهله وذووه المبلغ ، نقلوه الى القصر العيني ، وكان الشاعر في النزاع الاخير بعد ان فقد كثيرا من دمه ، فلم يجد معه اي اسماف : (٧)

يبد ان العجيلي ينظر الى الموضوع نظرة اكثر موضوعية حين يرى ان للاطباء مشاكلهم « وكل طبيب مثلي في جمعبته الكثير من دوايى التلمز والشكوى . فاينا الحق : الاطباء اعم المرضى ؟ » (٨)

ومع هذا فان العجيلي لا يكف عن انتقاد كثير من التصرفات التي يربا بالاطباء عن ممارستها . يستنكر نصيحة استلا له في كلية الطب بعدم التهاون في تقدير قيمة الخدمات التي يؤدونها للعرضى وعدم اجابة سائل في قاعة الطريق او تقديم استشارة بانية دون قبض الثمن ، لان الطبيب - في نظر الاستاذ الناصح - قد تحمل وسهر وانفق من عمره وماله ، ولا بد ان يدفع الناس (٩) .

ولا تخلو حياة الطب بالنسبة للعجيلي من طرائف تثير الضحك احيانا والمرارة احيانا اخرى ، انه يتحدث عن بعض فلاحي الياضية حين ينادون على الطبيب باسم « التراكثور » بدلا من الدكتور ، ويسمون بالمقابل الجرار الزرماي بالدكتورا ويعلق العجيلي على هذا الخطا بأنه جدير ان يدعو الاطباء الى الفخر لا الى الانزعاج والضيق حين يقول البدوي مثلا : « بل دكتور قادر على فلاحه لثلاثة دونعات من الارض في يوم واحد (١٠) » .

سأله د. جلا ابي بولده المريض : متى مرض ابنك يا ابا غازي ؟

— خلال ثلاثة ايام .

— بلماذا لم تلبث به الى العيادة اول امس او امس ؟

— كنا انا والامراة متخاصمين ولم نصلح الا هذه الليلة . منذ نصف ساعة !

قال ابو غازي هذا واضغت زوجته بطرفها حياء في نفس الوقت . فحزت - يقول العجيلي - بين ان انفجر في غضب وبين ان اضحك وان ارجو ابا غازي وامثاله مسين المتخاصمين وزوجاتهم ان يصلحوا واباهن في النهار او في اوائل الليل ، انسانية منهم ورحمة بنا نحن الاطباء (١١) .

وحين يسود اللفظ والفوضى بين مرضى العجيلي في قاعة الانتظار عيادته ، ويشيق بهذا اللفظ ، يفسر الى اسكتابهم بطريقة تثير الضحك ، حين يضع في افواههم الترمومترات لاسكتابهم وعلى ذكر الترمومترات فان معرض

الذي لازمه في الحرب العالمية الاولى طريقة معالجة « البجل » بحقنة من « النيوستولفرسان » الدواء الزرنيقي الالاتسي المشهور . وكان رغم استغلاله يبدو قنعا نسبيا حين يصبح حذرا في التطبيب ، فلا يعالج الا المرضى بالبجل (وهنالك ثمة اخرى مجرمة ايضا) امثال سارة التي اخضعت باخراج ما يسمى « بالواجعة » من اظفين ، تزعم لرصاصها ان جسا غريبا دخل العين فاحدث بها الالم ، وانها قادرة على اخراج الجسم الغريب بلسانها ، وحين تدور بهذا اللسان القذر في عين المريض ، تكون مهمة الطبيب معالجة المريض من الالتهابات التي خلفها هذا اللسان ، وهي تؤدي في بعض الاحيان الى تهديد المريض بتقرح القرنية او فقدان البصر (١٢)

يقدم العجيلي كثيرا من الحكايات التي تدل على سيادة الجهل والدجل ، ويكتب عنها لاسى الذي يستنصره لسان الانسان - انه بالطبع يستفيد بمادة ثرة تفنن ادبه وفكره ، وتشبع ميله الى الكتابة والابداع ، بيد ان ما كان يود ان تكون بلده ، او يكون الناس في بلده ، على هذه الحال الحزينة . انه ينظر الى مشكلة المرض المتلازمة مع الجهل والدجل في اطار رؤية انسانية تدفعه احيانا لان يكون غريبا بين زملائه من الاطباء ، فنادرا ما نثر على طبيب ينظر الى القضايا الانسانية من خلال مرشاه ، نظرق موضوعية تركز على تغليب المصلحة العامة قبل المصلحة الخاصة . فهو - اي العجيلي - لا ينكر ان الناس تشكو من الاطباء ، ومن قسوتهم في المعاملة وتخاذلهم عن اداء ما هو فرض عليهم ، وعن جشعهم واتهمهم . يقول العجيلي : « واذا في الصحيح احيانا شكوى لو اوطن زار طبيا فلم يله لال الاعتناء بالاجاب عليه نحو ، او انه لم يستقبله بالسوية التي توافر عليه وقتها ، وقت الشاكي ، المعروف انه من ذهب ، او اتسه كبده ما لا يطبق من اجور العناية والمان الادوية ، او لمير بعدا وذاك ، فاجد حولي كثيرين يؤمنون على شكوى الشاكي ويضضون في تعداد شكواهم في اطبايهم (١٣) » .

ويبدو ان الشكوى من الاطباء والطب في مصر اوضح منها في اي مكان اخر خاصة في الآونة الاخيرة ، بعد اشتداد موجة الغلاء ، ورفع سعر الكشف الطبي لدى جميع الاطباء بلا استثناء ، حتى ما باخذه المرضون الذين يعملون لديهم وما زال بعض الصحفيين عندنا يحملون على هذه الظاهرة المسماة « ملائكة الرحمة » ولعل اخر مظهر من مظاهر التخاذل الطبي في مصر ، هو موت الشاعر « محمد الجيار » الذي لقي ربه خلال شهر - ابريل ١٩٧٥ - اثر نزيف في

- (١) عبد السلام العجيلي - القامات - طبعة خاصة ، دمشق ١٩٦٢
- (٢) عبد السلام العجيلي - قلوب على الاسلاك - القليلة للنشر والتوزيع - بيروت ١٩٧٤ .
- (٣) مجلة « طبيبك » العدد ١٩ - بيروت - فبراير ١٩٧٣
- (٤) مجلة « طبيبك » العدد ١٩٢ - بيروت سبتمبر ١٩٧٢ .
- (٥) مجلة « طبيبك » العدد ٢١١ - بيروت - مارس ١٩٧٢ .
- (٦) عبد السلام العجيلي - السيف والابوت - دمشق ١٩٧٤ - ص ١٢ .
- (٧) الصور - مقال صالح حوت « حاجة تكسف » القاهرة ١٩٧٥ - ١٧

- (٨) السيف والابوت ١٢ .
- (٩) مجلة « طبيبك » العدد ٢١ - بيروت فبراير ١٩٧٤ .
- (١٠) السيف والابوت ٢٢ .
- (١١) السابق ٢٤ .
- (١٢) السابق ايضا ١٦٥-١٥
- (١٣) السابق ٢١٤ .
- (١٤) السابق ٢٨ .
- (١٥) القديار العدد ٧١ - بيروت سبتمبر ٧٤ .
- (١٦) « طبيبك » العدد ٢٠٤ - أغسطس ١٩٧٢ .
- (١٧) طبيبك - العدد ١٩٥ نوفمبر ١٩٧٢ .

ان المعجلى لم يفرق في الادب وبترك الطب مهنته الاساسية ومصدر رزقه الاساسي، اكتفاء بما حققه من شهرة ومجد اديبين ، بل انه كلما تقدم به العمر كلما اهتم في الاهتمام بمهنة الطب مكررا وسلوكا ، لانه يرى ان الطبيب محتاج الى تنمية ثقافته العلمية باستمرار ، كما اتضح من الاقتباس السابق ، ولان كثيرا من الاشياء المعروفة للأطباء قد تحالف الواقع او هي في حقيقتها تخالف ما يعارف عليه الأطباء ، ويروي ذلك - وهذا من خصائصه الموضوعية - قصة رجل ضرب بمصا ، فلم ترحج او تكسر عظما فسي الجمجمة ، فشنخ الأطباء حالته فلم يجدوا شيئا يوحي بانئ تلك الضربة ، وفسروا وفاة الرجل بعنل بالهالة التي تعمرى كبار السن وبضاغفات الامراض التي تعيش معهم ، ولكن ابتاء الرجل الحوا بضرورة الكشف على ابيهم ، وبعد الفحص الدقيق والتشريح تبين ان العضا احدثت تمزقا ضئيلا في احد الاعوية الدقيقة في سطح الدماغ وكانت بعده حقيقة لا يد من الاعتراف بها . « وكانت درسا جديدا او تذكيرا بعروس سابقة لنا جميعه في ان لا تكون نقاشنا فحوصا السريرية مهما كان وراها من علم وتجربة ، ونفحوصنا المخبرية مهما كانت ادواتها دقيقة وعصرية ، ان لا تكون نفتنا بكل هذه الفحوص وتلك ثقة مائلة ، فالجسم الانساني يظل دوما نادرا على ان يخبره لنا من المفاجآت ما يتفاجاهه علمنا حائرا وتقف خبرتنا وتجزيلنا لاجزاء » (١٦) .

يظل المعجلى موضوعيا حين يتواضع ، ويتمسك بالبقاء في بلدته « الرقة » ليعالج اهله ، ولا تبهره اوضاع المدن او العاصمات ، اثر قصة كراهه « لغاي مولاي » المعلقة الفرنسية الشهيرة كان من الممكن ان تكون عادية لطبيب ريفي يريد الخروج الى العاصمة ، ولكنه ما فعل .

وصف « لغاي مولاي » علاجا افادها ، فاستقبلته لتعبر له عن شكرها ، حين نجح علاجه (ون علاج اطباها . وسائله عن « الرقة ») وتمت او كانت قريبة من باريس ليظل بعاليتها ، ولكنه سر لتناحه ، ومازحها طالبا ان يضع بطاقته وتحت اسمه الطبيب الخاص « لغاي مولاي » . ولكنه لم يفعل ، لان بطاقته لا تحمل في الواقع غير اسمه وحده ، مجردا من اللقب والوصاف (١٧) .

وقد شبه المعجلى بسومرست موم الكاتب الانجليزي الشهير ، ولكنه ما قبل هذا التشبيه ، كان « موم » قصاصا وروائيا شهيرا ، وكان قبل ذلك طبيا ، واشتهر ايضا بالتحوال والحلات ، كما المعجلى تماما ، ولكن المعجلى يرفض القارنة عن موضوعية شديدة ، تقول ان كلا منهما يختلف عن الآخر تمام الاختلاف في كل شيء ، وانه يرى ان يكون هو هو ، ولا شيء سواه .

ويظل المعجلى بعد ذلك الطبيب الذي انتفع يروح الادب والناسيته في علاج مرضاه والتعامل معهم ، هذا الادب الذي امتاع من واقع مهنة الطبية الكثير من الاثكار لخدمة الانسانية في كل مكان ..

المعجلى وضع ميزان الحرارة ذات مرة تحت لسان مريض وطلب منه ان يطبق عليه فمه ، فامسك المريض اليأس باصبع يده والعم يسأل الطبيب : « اقرطه او اسرطه » يقول : هل اعطك واصفه ثم ابلعه ، ام ابلعه واسا يسدون مضغ !! ذلك المريض كان معتزما على بلع الميزان ، ولكن الذي لم يكن يعرفه هو الطريقة السوية للبلع التي يستفيد احسن استفادة من استعمال هذا القضيبي اللامع الذي ظنه دواء يبلع ويهضم ، وهو لهذا سال : اقرطه او اسرطه ؟ وعلق المعجلى على ذلك بان زملاءه في المهنة في دمشق و حلب وغيرها من مدن سورية آمنون من الوقوع على مريض مثل هذا (١٢) .

لا نستطيع ان نستطرد اكثر من هذا مسع طرائف المعجلى التي يجدها مع مرضاه ، بيد انه يمود الى النظر برؤيته الشاملة والموضوعية فيعمل لماذا كان الأطباء فسي بلادنا اسعد حظا - او هكذا يعتقد غيرهم - من بقية الناس ويرجع ذلك الى التخلف الذي نعيشه في بلادنا ، ففي بعض البلاد يكون الطبيب مثله مثل الخادم في المطعم او الساقية في المشروب ، يطلي كل امكانياتي خدمة الجماهير ، لكلاحة وله مثل هذه وذلك ، حقه في ان باكل ويشرب ويحل المسكن المناسب ، اذا توفر ذلك المسكن ، ويقول المعجلى ان الراتب الشهري للطبيب المبشئ لا يوفق راتب ساقية المشرب البتة بكثير (١٣) .

اما مسألة الدجل والشعوذة فيري المعجلى اثنا في الشرق والغرب سواء ، تكما يوجد هؤلاء هنا ، ويوجدون هناك ايضا ، فاني فرنسا اليوم ثمانية ولا اكون الف طبيب ممارس ، وفيها مقابل هؤلاء ، اربعم الف مشعوذ يدجل في الطب . (١٤)

ان معرفة المعجلى بهذه الاحصائيات وتلك الظروف التي تحيط بالطب والأطباء تعود الى طبيعته كاديب قاريه بالدرجة الاولى ، فهو لا يكف عن القراءة بكل اشكالها ، ولكنه بالطبع يركز بالدرجة الاولى على متابعة كل واحدث ما وصل اليه العلم في مجال تخصصه ، ولعل هذا ما يؤرقه لانه يضيق كثيرا من وقته الذي يمتنى ان يقضيه في عالم الادب قراءة وكتابة ، وتكرار وابدا .

ساله الاستاذ فاروق البقبلي محرر مجلة « الديار » عن نوع متابعه فقال :

« عملي كطبيب في بلد صغير يستغرق وقتي بصورة دائمة ومستمرة ، ليس هناك يوم في حياتي لا اعمل فيه لاكثر من عشر ساعات . ومن ثم فان هناك ايضا مشاغل اجتماعية لانسان مثلي في هذا البلد الصغير . ومنها القراءة العلمية بصورة خاصة لتابعة التطورات في النواحي العلمية الكثيرة : لان هذا من صميم عملي . بالإضافة الى قراءاتي في الادب والسياسة والاجتماع بلفتين . فانا تصلي ثمان وعشرون مجلة بصورة منتظمة من كافة البلاد العربية والاوروبية . ومن ثم فانا رجل مفرغ بالاسفار . انها تتيح لي فرصة الراحة من عملي المنهك . وهي ايضا تأخذ من وقتي الشيء الكثير . »

رسول المحبة العربية ، وصاحب الشجاعة المصرية . من الذين ربحت بمعرفته كما ربح الاصدقاء الآخرون قبلى بصلتهم معه ، دون أن يتوخى ربحاً ، أو يتال نفعا .

كانت أول رسالة قد وصلني من الأخ وديع فلسطين يومذاك من القاهرة وفيها معلومات طريفة من التواقيع المستعارة في الصحافة المصرية وأعلامها . مما جعلني اعتبرها ذات قيمة نفيسة ، لما حوته من الإحاطة والتنوع والشمول . بمدونة العبارة ، وجميل القول ، وسماحة الأدب . فلا تكلف ولا تحلق ، ولا مئة ولا غرور .

وقبل مفارقتي الوطن العراقي اتصلت بالأخ الأديب الأستاذ وحيد الدين بهاء الدين حيث زودني بشكورا بزيادة العناوين ، لجملة من المعارف هنا وهناك ، وهو خير رائد لهذا الخصوص ، وخير جواد لخدمة الأدب وأهله الطيبين .

وصلت القاهرة ونزلت بدارة (الأوبرا) فكان لاني يوم من نزولي ، وأنا قادم إليها من دمشق أن اتصلت بنسخة من الاصدقاء والمزلاء المصريين منهم الأستاذة الكرام الأفاضل : محمد عبد الفتي حسن ووديع فلسطين وعبد العزيز سيد الأمل وحسين نصار وعبد العزيز الأهواني ومحمد عبد الله عثمان وسعيد زايد ورشاد عبد المطلب إضافة إلى جماعة من الأخوان العراقيين المقيمين هناك للبحث والدراسة والعمل .

وقد حاولت أن أحصل هاتفيا على الأستاذ وديع فلسطين . فتملأ علي ذلك أول الأمر فهناك من اسمه وديع فلسطين خيرة . وبأولاً لطف استاذنا شاعر الأهرام محمد عبد الفتي جيلبي لا يتطعت أن أرى الأستاذ فلسطين . وأنا شوق شامة ذاكر لروايته ، والتحدث إليه وشكره على معرفته .

زارني الأستاذ الوديع في الفندق مساء وهو - كما اعتقدت - لطف مع تواضع ، حديث طلي مع صراحة ، ثورة على الآلام مع قناعة ، شكوى على الواقع بلا خنوع .

وكان الحديث يمر ونحن لا نشعر بضياع وقته ونتمنى امتداده . لأن الأستاذ الوديع ممن يعطيك الرشد ، دون أن يتلقى إلا القليل من العطاء . له من اللغة السهلة المطواة ما شهدت به « القلم » و « المتنطف » و « الأدب » . وله من الذاكرة الواعية الحية ، ما تظفره دراساته الممتعة في « أحداثه المستطردة » من كبار الأدباء والشخصيات والعلماء ، في عالم الأدب ، والصحافة ، والعلوم في دنيا العربية وعالمها الواسع من محيطها إلى خليجها .

أن معرفة الأستاذ فلسطين وعمق تفهمه للغات العربية والإنجليزية والفرنسية . ما يجعله في الطبقة الأولى من بين بعض مدعي الترجمة والتأليف الثقافي في العالم العربي اليوم .

دراسته في الحامية الأميركية ، صلته بحركة العلمية ، اطلاعه على مقربيات الثقافة الغربية من لائنية وإنكليزية . يوانه المنزلة التي لا يقدرها - مع مرارة الألم -



وديع فلسطين

وديع فلسطين بين العطاء والحرام

بقلم الدكتور محسن جمال الدين

كان من نتائج سفرني (الفارابية) إلى كلفتنج بها زيارة الاعلام العراقية مقدرة مشكورة . لاهيات العواصم العربية: دمشق - القاهرة - بيروت ، في تشرين الأول من العام ١٩٧٤ للبحث عما يخص « الفارابي » في النواصات الحديثة .

كان من حصيلة ذلك ، أرباحي المعنوية ، التي كسبتها من اطلاع علمي على مجموعة من الدراسات والأبحاث والمخطوطات العربية ، في بعض خزائن سورية ومصر ولبنان وعلى دور الكتب فيها . مع تعارفي الشخصي مع نخبة من رجالات الفكر والأدب والعلم ، الذين سبق وقرأت لهم وراسلهم . وصح لدي المثل القائل « ليس الخبر كالمكان » . فالإنسان أحياناً عندما يكسب صديقاً ، ويتعاون مع أخ من بعد . قد تتبدل نظرته إليه ، وتتحول عواطفه نحوه نتيجة لما ينطبع في ذهنه من تصرفات ذلك الصديق سلباً أم إيجاباً ، حسناً أم قبحاً . وقد يعود منه وهو أخيه بقصة (الحريري) والمثل المشهور « سماعتك بالعميد خير من أن تراه » .

ولقد وجدت - وأشكر الله على نعمته - أن أغلب الذين اتصلت بهم ، هم من الصفوة الممتازة ، كانوا عند حسن الظن ، وممضع السرور ، وغاية الوداد . والأستاذ الكاتب ، الأديب المعروف وديع فلسطين

الا قليلون . وقد جهلت حق « جامعة الدول العربية » وغضت الطرف عنه الحافل السياسية العالمية ، التي تزخر بالادباء والجملة .

ان الكتابة عن الأستاذ وديع فلسطين الذي وصفه بعض المصنفين في كتاباتهم وتقريراتهم عنه لشئ يدعو الى التساؤل في نفوس الشاكين الجاحدين بالعبرية . فما هو الغرض من الكتابة اليوم عن هذا الاديب الذي اصابه الحرمان وقضى على ما يستحقه من منزلة ، وخير . وهل وجود المسؤولين من تقيم الادب في دنيا تسير مركبتها اليوم بالاغراض الدائنية ، والرغائب الانانية .

ان تقييم ما لدى الاديب من نتاج القلم ، ومن لمعات الفكر لا يكون الا عند الناس المصنفين من النقاد ، واصحاب الضمائر الكريمة . انا لا ادري - ولا يغري يدري - سر محاربة مجتمعاتنا العربية ، لاصحاب العقيدة والنبوغ من ابناء بلادنا - فعوضا ان يؤخذ بأيديهم ، وتقدر مواهبهم ، وتنتشر آثارهم - تراهم محاربين بين يائسين محرومين ولا ادري الكونهم قد فاقوا الغلبة جيلهم المتخلف بتفافتهم ، وبرزوا على اثرة معاصريهم في معارفهم . ام انهم لم يستعملوا ذكاهم وفطنتهم في الشرد والانام ، والاباطيل والاهام ؟

ان وديع فلسطين ايها الاخوة تنكر له الاقويون ، وجهل مقامه الاميلون ، ولو اني اردت ان اكشف عما اصابه من منغصات الحياة التي سمعت منها - منهم ومن غيبسهم - لحملت طاقة قلوب المحبين ، ما لا يستطيع حملها ولجأ حقا اليهم .

ومن اقرب القضايا التي لحقت به وهو في بلد عربي بالشمال الافريقي - التهجير ، والمراقبة ، والتفسير ، وضيق اوراقه ورسائله وكتبه ، دون عمل قام به يذكر ، او مخالفة ارتكبها . ومن المنغصات التي اصابته في بلده في فترة قريبة ، ماضية من الزمن (المراقبة) التي كانت تستدعيه ، و (الشرطة) التي كانت تسالعه عن اسباب كثرة بريدته الوارد اليه من اصحابه ومحبيه في الوطن العربي وديار الهجرة . وكثيرا ما اشاع بعض الكتب المهذبة اليه ، والرسائل النفيية من كبار الشخصيات العجيبة به . فسي حين ان مهربي المخدرات يسرحون ويمرحون ، ويبنسون التصور والعلالي ؟

كتب عن الأستاذ وديع فلسطين الكاتب المصري المنتج الاستاذ أنور الجندي في الاديب (يناير ١٩٦١ ص - ١٤) قوله :

« الأستاذ وديع فلسطين ، كاتب خصب الانتاج ، موفور الثقافة ، عميق أوجه الفكر ، من ابناء تلك المدرسة الوسطى التي تجمع بين القديم والجديد وثقافة الشرق والغرب على هدى وبصيرة » .

ويعد ان استعرض حياته الصحفية ، والثقافية ختم قوله « هذه صورة سريعة لشخصية مفكر عربي ممتاز

جمع بين التبرير في ميدان الصحافة ، والكتابة ، والنقد ، والترجمة ، وهي شخصية ضخمة وخصبة ، تحتاج الى مزيد من الدراسات ، وهي ما زالت تشق طريقها الى مكانها الحق » .

وجاء بعده الأستاذ الكريم ابو طالب زيان وخضر الاستاذ وديع فلسطين بمقالة في « الاديب » نوفمبر ١٩٦١ ص - ١٢ . ومما جاء منها قوله وهو الذي زامله في العظم بين سنة ١٩٤٥ - ١٩٥٢ .

« عرفت الكاتب البلخ الاستاذ وديع فلسطين عن كتب ، ادبيا لامعا ، وصحفيا بارعا ، يصح اليه ، ويطلب رايه . »

وختمها بقوله : « ولقد تمكن بخلق الطيب ، وعمله الفزير ، واربعيته الثمانية من جمع هذا التشتيت المتفرقي كل الاصقاع في صعيد واحد . »

لقد قرأت الأستاذ وديع فلسطين في « المقتطف » سنة ١٩٤٣ ، ١٩٤٤ ، ١٩٤٥ . والسنوات التي اعتبستها في كتاباته الموضوعية ، والترجمة ومنها :

- المجتمع والسياسة في الادب المصري الحديث .
- منهج جديد في كتابة التاريخ . - بين الادب والصحافة .
- خليل مطران . - سلامة موسى دعامة قوية من دعائم الفكر . - العلم والعلمية . - المثاليات العربية . وغيرها .
ومن أبرز مقالاته في « الاديب » وهي كثيرة متعددة الجوانب الثقافية :

- مع المصريتين - يعقوب وقاد . - نظير زبون .
- العزلة القروية لحيثون الادب . - نفسية الكاتب . - مع الدكتور طه حسين . - فارس نمر . - حديث مستطرد من الأمير مصطفى الشهابي .

ومن مقالاته الطريفة في « الاديب » ديسمبر ١٩٦٠ ص - ٢١ . « علاقات الادباء في حاجة الى ناموس » . والمقال يصح ان يكون دستورا متبكر في الدراسات الادبية الحديثة المعاصرة ، والعلاقات الادبية بين جمهور النقاد . تناول فيه الصلات الشخصية ، واهداء الكتب ، واستكتاب القدمات ، والسرقات الادبية . واليك نموذج من قوله :

« بلوح لنا ان العلاقات الشخصية بين الادباء يوزعها ناموس مرهي ، يرسم لها التقاليد التي تتطور في ظلها . فما برحت هذه العلاقات متميزة بالتعالي والتسامح في آن ، وبالتعاضد والتباغض في آن آخر . »

وتابع قوله : « ومن ظواهر المرض النفسي في الادب استيكاير الادباء الذين يصغروهم سنا . » وختم مقاله بقوله : « ان العلاقات الشخصية بين الادباء تحتاج الى تنظيم وتنقية حتى تصفو من شوائب الاستيكاير ومراءاة الظروف - حتى تزول عنها أكثر العلل النفسية . واذا كنت قد اوردت الحديث عن نفسي فشفيعي عند القارئ انني تحدثت من تجربة شخصية ، وهي دائما ام التجارب . »
اما حصة الأستاذ الفاضل وديع فلسطين من التاليف فهي حصة متواضعة من الجمع ، كثيرة مثالية

تجريد وفلسفة

الى هؤلاء الذين نعمل من فهم ما ينظمون من احاسي والافكار

تجرو الطلاس من ارباك القور
ام جئت من بابل ام جئت من سقر
ولا تلم بما تلقيه من سقر
اسمعنا الان من انبارك الاخر
عرض التفاهة فيه غير مختفر
محمية بسياج الشوك والاير
ولا تخيله امكان مبتكر
شيء من الخط في شيء من الهدر
والورد عندك في القاموس كالجزر
فيما الشوك ولم نحفر ولم نجر
كان ذلك ينجي من الغطر
ابصده عن مدار السمع والبصر
العيب ان تتحصى وثبة التمر
كما زعمت بلا خوف ولا حذر
بلن يهيازي بتمثال من الحجر
تسير سكرى بلا عري ولا وط
ولا التحم مهما جد في التمر
الياس فنصل

يا شاعر اسخف لا تبخل باجوبة
هل جئت من عالم بالجن مزدحم
تكاد نفهم ما في الهند من لفظة
ان كنت تكتب للاتي قصه وارح
واحتفظ روائعها الجلى الى زمن
كان ذهنك دهلج مسالكه
او مصنع لم يد في بال نايقة
يعول الفاخر السهل الرشيق الى
قاموس شرك الفاظ محددة
حجب نفسك خلف الحرف فانبتت
يستر اللحن باللقاء فطنته
فاني ذنبت تداربه وتعمن في
ما العيب انك في التصنيف ضللته
ان كان شعرك تجديد و فلسفة
فما تقسول ليجنون يطالبنا
بسانك الفذ افكار مشردة
لا انت تدرك عقراها اذا اجتمعت
بوانس ايريس في الاربعين

يسلط أضواء قلمه على قضايا الادب ، والادباء الذين عاينهم وزاملهم وعرفهم في دنيا «التمط» العظيم وفي عالم «المكتشف» الخالد .

وان يترك لنا عالم (النعال) و (الكلاب) (لبنان) هي اجور بمعالجة الاول - وجمعية الرفق بالحيوان اجدد بالمطف على الثاني !! ولعل هذا من ثورة الالم في نفسه وردود الفعل فيها .

اما كليات الصحافة واقسامها في الجامعات العربية فهي ملامة مقصرة في حق الاستاذ (الوديع) وعليها الاستفادة من خبرته الصحافية ، وتجاربه الشخصية ، واطلاعه الموسوعي ، وترجماته الاصيلة .

وب : ادعوك ان تبث الالهام في قلوب قومي وعقولهم كي يسبقوا الزمن ، ويسيروا الاسم الناهضة في رعاية النابضين من اخوتهم - كلاستاذ ودع فلسطين - وهو الذي اعطى ومنح كثيرا ، ولم ينله منهم الا النسيان والحرمان .

محسن جمال الدين

بغداد - كلية الاداب

في المقالات والدراسات والترجمات . ومن كآله الموضوعية والترجمة ، المطبوعة :

١ - استقاء الانباء فن . ٢ - قضايا الفكر في الادب المعاصر . ٣ - صحافة الخبر . ٤ - مرجح الادب .

ان لدى الاخ (الوديع) الكثير من الرسائل الثمينة بينه وبين شعراء وادباء المهجر العربي . امثال رسائل الاخوان الاعزة : جورج صيدج - الياس فريحات - الياس قنصل - زكي قنصل ، الشاعر القروي وغيرهم ...

وبينه وبين اقلية المثقفين في العالم العربي والغربي ولا اظن ان مركزا عربيا ثقافيا به صفوة متململة ومتدربة الا وكان لاحد افراده علاقة ، وصداقة ، ومراسلة ، مع الاستاذ ودع فلسطين .

واذا كان لي من كلمة اقوالها في موضوع الصراحة والاخوة الصادقة له . هو ان يجمع دراساته في مجاميع ويوزع مواضيعها المختلفة ، ويضمها في كتب متجانسة الموضوع والمادة ، كي تسهل مطالعتها واقتنؤها . وان

فتح باب المستشفى الحديثي . . .
تدق الزائرون . . انفجار المسران
الغليظ في بطن مريض . . راحت عيناه
الفتقتان تنصنع الوجوه . . لم تقعا
على أحد يعرفه . كيف أعود إلى قريتي
والتومورجي ؟ نفث جيبى من التود
التي كانت ممي ؟

ترامى إلى مسجعه عواء قطار .
يوم ان هربت من القرية صعدت فوق
سطح احد القطارات . . كيف ارضى
بظلم أخى ؟ انا اعمل طوال يومي فسي
الحقل وهو يقضى أجري وينفقه ثمننا
لانفاس اليباب الذي يدخله في مقهى
خليل أبو شبنة . كان املي ان اهاجر
الى البندر . . اشتغل في مصنع مثل
عوان ابن اخت شيخ البلد . . ضحكت
له الدنيا . . ودع الفاس والحراث الى
المدينة والماكينة . . اردت عفرته
انيقة قطع التود الغضبية توشوش
بشخصيتها جيبه . . لكنني وجدت
الابواب موصدة امامي . . أصبحت
تألها . . غاب حلمي ؟ لو وضيت
بحظي من متاع الحياة وبقيت في
القرية ؟ ماذا فعل أخى عندما اكتشف
هربي ؟ هو الذي كلفني ورعائي بعدا
موت والدي وانا طفل صغير . . كب
اواجه نظراته الشامتة ؟ كيف تلقي
ميناي بيمين اقاربى ؟

زحفت قدماه . . ركضت الافكار
في راسه . .

قال لي أخى ذات ليلة :
- اترك كالمسك . . لا تستطيع
ان تعيش بعيدا عن الساقية والأرض
وقف بجوار باب المستشفى . .
كيف استيقظ فأجد نفسي خارجها ؟
لماذا لم ينتظر الطبيب حتى تظهر نتيجة
الاشعة ؟ كنت تخجل ان تطلب منه
المزيد من العناية والعلاج . . تعلم انك
تعالج مجانا ومن الجحود ان تسرف
في الشكوى . . لكنني على يقين ان
المريض الجديد الذي احتل سريري
ذهب الى الطبيب في ميادته ودفع
« الفريتا » قبل ان ياتي الى المستشفى
وقع بصره على شاب مريض
يساعده والده على ركوب عربة

حظور . . لو ارسلت الى أخيسك
خطابا ؟ المرض ليس عيبا . . لكنك
هربت من القرية دون ان تخبره . .
كيف سيلقاك ؟

- اهلا . . اهلا عمران . . عندما
عصف الجوع عدت الى ؟ ؟ . .

- انني . . .
- اين كنت طوال تلك الايام ؟ . .

ماذا سأقول له ؟ عملت مع أحد
القاولين في بناء إحدى العمارات . . كنت
اجري على السقالات . . احمل الزلط
والخطة . . اقضي ليالي في حجرة
ليس لها نوافذ . . قبر . . نقل صقيع
الليل الى عظامي كالدبابيس من خلال
الفرازة القديمة التي حشرت فيها
جسدي . . تملكتني نوبات السعال . .
عانت نفسي الطعام . . عجزت عن



يلقم عبد العزيز الشناوي

حمل القصعة . . نصحني القاول
بالذهاب الى المستشفى . . اعطاني
ربع جنيه . . لهفة التومورجي . . لو
تركتني اتناول طعام غلاتي ؟

- حالات الخروج ليس لها اكل
- ولكنني اخلت « شربة » بالامس
ولم اتناول طعاما منذ يومين
- ولو . . .

ارمى بصره فوق ظهر اقطار . .
ارتطم بالكتل البشرية التي تدلوه . .
تقيق من برد الشتاء ؟ . . اريد ان



اسكت نعبان بطني اولا . . في القرية
كنت اجد امواد الجلازين والسريس
وكيزان الفرة او قليلا من الفسول
الاخضر دون مقابل . . كنت افاضل
الحاج سليم والقم لذي البقرة فسي
فمي واشخب منه حتى ارتوي . .
لما في البندر ! . كل شيء بالقرش . .
لا أحد يعرفني لكي يقدم الي شيئا
بالاجل ! .

مرق من امامه طفل بطارد شابا
وفتاة يتأبطان . . طلب منهما ان
يمنحاه صدقة .

غاصت يد عمران في جيبه . .
امسك بمعدنيله الملاوي يربطه على
عينيه ويبسط كفه ؟ . . يصق على
الأرض في وجه هذا الخاطر . . عندما
كنت صغيرا ورفضت في العيد ان أقبل
يد احد اقاربي ليمطيني عديتي . .
انطلقت الى الاراجيح . . اكتفيت
بمشاهدتها من بعيد . . ضربني أخى :

- الحاج سليم غاضب منك . .
لماذا لم تقبل يده ؟ كان سيمنحك
قرشا . .

طول عمرك « وش » فقر .

اقتربت منه احدي النسوة . .
طلبت منه ان يضع حقبة كبيرة فوق
ظهر عربة التاكسي . . وثبت الفرحة
الى عينيه . . ستمنحك قروشاً . .
ستشتري رغيفين وقطعة حلاوة
طحية . . .

دفعه احد الحمالين بعيدا . .
اختطف الحقبة . . سار وراء المرأة . .
انطقت الفرحة في اعمائه . . شبعه
بنظرة نارية تعالي الى عواء . . رأى
كلبين يتشاجران . . انتزع الكلب
الفصم القطة من فم الكلب الهزيل .

قرض الجوع اعماءه . . تكور حول
نفسه بجوار الحائط . . ليخنق
طعنات الالم ويخرس نباح معدته .

دوت زغرودة لها ذيل . . وضمت
امراة رفيعة سفا على الارض . .
احتضنته بين فخذيه . . راحت توزع
سندوتشات :

شيراز

شِيرَاز يا بلد الازهار والمياه الجارية
الورد فيك منوع نفحاته متهادية
للطير في الاستار الحسان بهف ساويه
تفريده تسبيحة وصلاة شكر غادية
تتنقل النظرات صبحا في الرياض الزاهية
والفانيات يمسن في الجنات قرب الساقية
بسماتهن يعنن للمحورود برد العافيه
الشهد والابناس في نعماتهن الهاديه
التطوق جرس ناعم وصدى لنفس راقيه
تفجعن انفسا وعرفا طيبا كالفانيه
الله يا شيراز يا معلى النفوس الراضيه
الضيف اليك مكرم والذكريات غواليه
يا طبيب ارض اهلها لطف وروح ساعيه
له يا شيراز يا بلد العلوم الوافيه
الذكريات العالقات هوى بلقي شاديه

عيسى ميخائيل سابا

وقف بجانبه رجل عجوز هزيل يتوكأ
على عصا خضراء :
— اعطني لقمة .. لم اتناول طعاما
منذ ثلاثة ايام
شيء في صدره ينتفض .. وجديده
تعتمد نحو الرجل العجوز حاملة معها
الساندوتش .. كاملا .

عبد العزيز الشناوي المنصورة

الاقدام المهرولة تمرق بجوار راسه .
نؤوس مشرمة تنهيا لزيقها ... جرجر
جسده من بينها ... استماتت يده
الملهفة على اخر سندوتش فسي
السطح .

تطلع الى الرغيف المنتفخ باقراس
الطمعية وشرائع الخيار المخلل بعينين
منتشيتين . لم يصدق انه ظفر به ؟
قبل ان تهوي اسنانه المتحفزة لتنهشه .

— شيء لله يا سيدي برمي . .
نلدت الله نلدرا اذا خرج زوجي من
المستشفى سليجا معافى ان اوزع على
الفقراء سندوتشات فول وطمعية .
اندفع الاطفال حولها كالجراد . .
احاط بها الرجال والنساء .. هب
عمران من مكانه .. وقف حائرا ..
ميناء تنيشان عن منفذ .. دفعته يد
في غلظة .. سقط على الارض . .

الاديب



لا يقبل الاشتراك الا من سنة كاملة بمدها شهر

يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ٢٥ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ١٠٠ ل.ل.

في الخارج العربي : ٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

١٠٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

سائر الاقطار : ٢٥ دولارا بالبريد العادي

٥٠ دولارا بالبريد الجوي

أشتراك الانصار :

في لبنان وسورية : ٥٠ ل.ل. كحد أدنى

في الخارج : ١٠٠ ل.ل. او ٥٠ دولارا كحد أدنى

المكاتبات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد

التي اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

الادارة : ٢٢٢٨١٩ Dir : 223819
التنزل : ٢٢٥١٢٩ Die : 225130

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ١١-٨٧٨

بيروت - لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البريد ادبي

الادبية في القرن الثامن عشر في اوربا كثرة هائلة ، فقد قال « فولتير »

انه كانت تظهر في اوروبا ١٧٢ صحيفة ادبية في الشهر ...

وظهر في لندن في سنة ١٧٧٦ مجلة انجليزية فرنسية كانت تلخص

ما ينشر في ٥٢ مجلة اسبوعية تصدر في لندن .

ويقول الكونت ليبيد دي طرازي في كتابه « تاريخ الصحافة العربية » :

« ولد بلغ مجموع الصحف منذ ظهور اول جريدة عربية عام ١٨٠٠ حتى

نهاية عام ١٩٢٩ - أي في مدة مائة وثلاثين عاما - ثلاثة الاف وثلاثين وثمانين

صحيفة ... ومن دواعي الافتخار ان الظفر المصري كان سباقا في إصدار

الصحافة العربية التي نشر الجريدتين الاوليين اللتين قرأهما ابناء القضاة

وهما جريدة « التنبيه » التي صدرت في ٦ من كانون الاول سنة ١٨٠٠م

في الاسكندرية ، وجريدة «الاولع المصرية » التي ظهرت في كانون سنة

١٨٢٨ في القاهرة . »

واول من استعمل لفظ الصحافة بمعناها الحالي كان الشيخ نجيب

الحداد متشبه لسان العرب « في الاسكندرية . وكان الصحفيون في اول

الامر لا يفرقون بين الجريدة والصحافة في استعمال . ولكن كلمة

كانت هي المستعملة منذ الفرنج في مقابل ما أطلقوا عليه نحن لكلمة

«المجلة» . فلما تولى الشيخ ابراهيم اليازجي ادارة «الصحيفة الطبية»

البيروتية سنة ١٨٨٤ بالاشتراك مع الدكتور بشارة زؤلوف والدكتور

خليل سعادة اشار باستعمال لفظه «المجلة» قائلا عنها : انها صحيفة

علمية او دينية او ادبية او انتقادية او تاريخية ، او ما شاكل ذلك ،

تصدر تباعا في اوقات معينة . وبذلك ثبت هذا الاسم وتباعد في ذلك

جميع المجلات التي صدرت بعد مجلته ، كما اصطغته الدوريات التي

كانت قبلها .

وعندما انشا الشيخ ابراهيم اليازجي والدكتور بشارة زؤلوف مجلة

البيان في القاهرة قلنا ان المجلة انها : « جليس العالم ، واستاذ البريد ،

والوهد الذي يتلوا فيه اللبيب والمستفيد ، بل هي غيبط العلم في كل

تدوة ، ويريد الى كل خرفة ، والاشكالات التي تستعجب بها بعض اولي

الالباب ، والثاني الذي تاتم به المدارس اذا اشبهت عليها شواكل

الصواب » .

وفي سنة اليوم ان نضع تعريفا موجزا جديدا « للمجلة » فلكنت

تحتها : انها «صورة مختصرة ، سريعة متجددة ، رخيصة الثمن لمدونات

المعارف» .

ونحن لا نعدو الصواب اذا قلنا ان وظيفة المجلة كانت قائمة في

حياة المجتمع العربي منذ قديم . وكانت هذه الوظيفة تؤدي بطرق ثلاث

المصور . فمن ذلك مجسألس الادب والمناظرات والاماني ، ونفاق

الروايات . بل ان كلمة «المجلة» بمعنى قريب من معناها الحديث ،

قديمة في لغتنا العربية . فلي لسان العرب لابن منظور : « والمجلة :

الصحيفة فيها الحكمة . كذلك روى بيت النابغة :

مجلتهم ذات الاله ودينهم

لويهم فما يرجون غير العوالم

يريد : الصحيفة ... وقال ابو عبيد : كل كتاب عند العرب مجلة .

وفي حديث سويد بن الصامت ، قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

قل الذي معك مثل الذي معي . فقال : وما الذي معك ؟ قال : مجلة

لعمان . كل كتاب عند العرب مجلة . يريد كتابا فيه حكمة لقمان . ومنه

حديث ابن عباس : اني البنا مجال - هي جمع مجلة - يعني صحفا .

ومن الشائق ان كلمة Magazine التي يستعملها الانجليز وغيرهم

بمعنى « مجلة » كلمة عربية الاصل . واول استعمال لها بمعنى الصحيفة

الدورية للتشتمل على مقالات في موضوعات مختلفة كان في سنة ١٧٢١ ،

عندما ظهرت مجلة باسم The Gentleman's Magazine وقد وصلت

نفسها بانها مجموعة شهيرة لنفس ، فيما يشبه الخزن ، مقالات فسي

الوضوحات التي يستلواها بالكتابة . وهذا « الخزن » الذي تشبه

اليه يرجع الى ان كلمة : Magazine استعملت في اوربا اول مسا

استعملت بمعنى مخزن للبحال ، نقلنا من الكلمة العربية « مخزن » ،

وكان هذا الاستعمال شاعرا في الاسبانية والفرنسية ، ثم استعمل لخران

الإنشائية الذي يحتوي على عدة فئات .

والآن انتقل إلى العمل العظيم الذي يسمونه الآن القدماء ، وهو بلا مبالغة - عمل علمي ممتاز ، يكشف عن «مجلة روضة المدارس» التي كانت - كما وصفت في هذا الكتاب - «بوقنة» أدبية ، ويستمد نجاح التاريخ على التعاون العلمي القائم على الزاوية التي يتمتع بها المؤلفان: محمد عبد الغني حسن ، وعبد العزيز السقوي ، وهي مزاجية علمية واسعة ، ومزاجية خلقية رفيعة ، فاق ذلك التعاون هذه التهمة التي لا تفرق تعاون علمي عظيم الشان في الجيل السابق ، وهو الذي كسان يجمعون الجليلين المرحومين : علي الجارم ، ومصطفى أمين . ولولا التزام الحياة لأذكرت اثنين آخرين جمعتهما في التأليف - وفي تحرير - مجلة العلم وثائق الذات .

إن التاريخ مجلة من المجلات يحتاج إلى خبرة ممتازة في البحث والنوازل ، والتلف ، والألم بالتاريخ الأدبي والسياسي والاقتصادي والاجتماعي لحظية طويلة ، يسبق جزء منها ، ويلحق جزء آخر ، العصر الذي صدرت فيه المجلة التي يبرز لها . فالموضوعات التي تقرأها المجلة ينظر فيها المؤرخ نظرة خاصة من حيث كونها جديدة تدعو إلى حركة جديدة ، أو من حيث كونها امتدادا للأثار ومذاهب سابقة لعصر المجلة . وقد يمتد عصر المؤرخ - بل لا بد أن يمتد بعصره - إلى أثر موضوعات المجلة في العهد الذي يلي صدرها ، سواء أكان ذلك الأمر انتشارا لها جاء فيها من أراد ، أو كمدخل لها أو رافد لها . ومن هنا لم يكن بد أن يتصدى للتاريخ للمجلات أن يكون خيرا بالحركات الفكرية ، والقيادات الفكرية ، قبل أن يصير المجلة وبعد ، إلى جانب عصر المجلة نفسه .

ولا بد أن يتضمن التاريخ مجلة من المجلات حديثا يعرف بالكتاب الذين قامت المجلة على الأقدام ، وهؤلاء الكتاب يشتمون إلى فروق متعددة من المعارف ، والوان من الثقافات ، وعمدة المؤرخ هنا مهمة شاقة .

ولقد تحقق في هذا التاريخ مجلة روضة المدارس كل ما يتطلسه العلم والافان والنهج . فقد كان تصنيف الأستاذين المؤلفين تصنيفا علميا دقيقا ، حصر كل ما ينبغي أن يذكر من المجلة ، وأدبا ، وفلسوا ، بل فترا ...

وما يجدر أن أشير إليه - على سبيل المثال لا الحصر - أن مما سجله المؤلفان في هذا الكتاب ، الإشارة إلى بعض المسائل التي سبقت «مجلة روضة المدارس» إلى الكتابة عنها . كموسوع : «لوت الجو» الذي كان الكاتب منصور أحمد ، أول من كتب عنه في الشرق العربي ، قبل أن يكثر الحديث عنه في زماننا الآن ، بالترتيب من قرن من الزمان .

كذلك أشار المؤلفان إلى نشأة «الإفصوة» في مهدنا عندها عرض البحث للمناخ التي نشرت في المجلة ، وهو أمر لم يذكره أحد من مؤرخي الإفصوة . وهذا يذكرني بما سبق أن أشرحت - منذ بضع سنوات - في لجنة الدراسات الأدبية بالجلسة الأولى لرابطة الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية - من تتبع نشأة الحركة الأدبية في العراق العربية ، في بطون المجلات العربية منذ نشأتها . وهو مشروع صنو كمشروع التاريخ للمجلات ، الذي نجني باكورة ثماره في هذا الكتاب الذي بين أيدينا .

ومن المكاسب العلمية في هذا «التاريخ» ما تجده في الباب الذي عقد للتعريف بكتاب «مجلة روضة المدارس» من تحليلات قيمة تتصل بتصحيح الإخطاء الشائعة من بعض الكتاب ، في التواريخ المتعاقبة للأدب ومن أرقامهم ، وفي صحة أسماهم ، وفي بعض الأحداث المتعلقة بحياتهم . ومن أمثلة ذلك ، والتصحيحات التي ذكرت في الترجمات الخاصة بكل من : علي فهمي رفاعه ، والدكتور حسن محمود باشا ، وصالح مجسدي ، والدكتور سالم سالم باشا ، ومحمد مدوخ ، ومحمد قديري باشا . ولحق أن الباب الذي خصص لهذه الترجمات لكتاب «مجلة روضة المدارس» يعد فصيحة قيمة للبحث . فقد تضمنت كل ترجمة أثر موجز يكتب من صاحبها : فيها البيانات الأساسية ، مضافا إليها

أشارت إلى إنتاجه الأدبي والعلمي بصفة عامة ، وما ساهم به في مجلة «روضة المدارس» بصفة خاصة ، مع عدد من المراجع التي يمكن أن تستوفي منها سيرته . ويبلغ من حرص المؤلفين على التعريف بهذا الكتاب أنهم لم يتركوا «أصحاب الوحدات» أي الذين لم تزد مساهمتهم على مقالة واحدة في طول عمر المجلة .

ويعد : فهذا الكتاب : «روضة المدارس» ، نشأتها وإنتاجاتها العلمية والإدبية » ، للأستاذين محمد عبد الغني حسن ، وعبد العزيز السقوي ، تاريخ مجلة ثقافية عظيمة . وهذه المقدمة أشبه بتاريخ هذا التاريخ ...

وشتان بين ما قام به المؤلفان في التعريف بالمجلة ، وما فلت به في هذه المقدمة بالتعريف بهذا العمل الجليل .

القاهرة

محمد مهدي غلام

الإحباش بين مارب وأكسوم

تأليف ممتاز عارف - ٢٨٤ صفحة - منشورات المكتبة المصرية ببيسما ١٩٧٥ .

عرفت الآن الأستاذ ممتاز عارف ، استاذا تخصصي في الزراعة ، في إحدى الجامعات الأمريكية ، ولما عاد إلى وطنه ، العراق ، أشغل وظائف عمدة ، كان آخرها ، عمادة كلية الزراعة ، في جامعة بغداد .

ولما انتدب خيرا من خيرة منظمة الغذاء والزراعة ، التابعة للهيئة الأمم المتحدة ، في مطلع الستينات ، كما اعتقد ، الغطت على أخباره ، إلا أن ما ، ذلك الأخير للعمل في بعض الأقطار الأفريقية ، منتقلا بين أقطارها الشمالية ومشرقية والصومال ونيجيريا والفلبين ، صاروا من عمره ، إلى أن في هذه البلاد هذه الثماني سنوات ، ولم أكن أعلم أن استقر به المقام بعد ذلك .

ول مطلع شهر آب ، الماضي ، فوجئت بزيارته الكريمة ، إذ لفلس على هذه الزيارة ، حاملا بيده هدية لينة ، لك هي كتابه البكر ، عنى ما ألق ، وهو «الإحباش بين مارب وأكسوم» ، ويذكر سروري بعونه إلى الوطن ، سررت لأقدمه على الولوج في ميدان الكتابة والتأليف ، وليس خروجه على ما درج عليه غيره من الخبراء العرب الذين تسنى لهم العمل في مثل هذه الأقطار النامية ، دون أن يخرجوا على الناس منتقلا مسا شاهده ووقفوا عليه من غريب الأطوار والمعادات والتقاليد في تلك الأقطار .

ورب سائل يسأل ، من السبب الذي حمل الأستاذ العارف ، على أن يذهب العيشة وحدها بدراسة خاصة ، لتحويها صلبات هذا الكتاب إلا أن الأستاذ نفسه ، قد أجاب عن هذا التساؤل في مقدمة كتابه قائلا : «... كانت العيشة هي القطر الوحيد الذي ترك في ذاكرتي ، وفي أعمال نفسي ، وأحاسيس والخيالات لا تنسى ، في الأقطار الأخرى ، كان كل ما في مظهر الحياة البعيدة ، البويع ، وأساليب أعمال الناس ، وفي بعض الحالات ، حتى معيشتهم ، يعكس طابع الدول الأوروبية التي استعمرهم ما عدا العيشة ، فقد برزت فيها صفات ومميزات أصيلة عديدة ، مما جعلها تختلف اختلافا كبيرا في بقية الأقطار السوداء ، وإلى جانب ذلك فقد وجدت فيها من التناقضات ما لم أجده في أي قطر آخر ، فعلى الرغم من العيشة الحضارية بالنسبة للشعوب الأفريقية الأخرى ، كانت أول دولة أفريقية وضعت قدمها في عصبة الأمم ، كبلد مستقل لكيان فديم في أوائل العشرينات وكانت من الدول التي ساهمت في تأسيس هيئة الأمم سنة ١٩٤٥ إلا أن لديها الأخرى ما زالت راسخة في ظلمات العصور الوسطى .»

٩٧. ق.م. ومن طريق ما تزويه هذه الأسطورة ، ان هذه الملكة كانت قد اتجبت وهي في طريق عودتها الى بلادها ، مولودا ذكرا ، من سليمان نفسه ، وعرف باسم « ابن حكيم » أي ابن حكيم . فلما شب وترعرع وقوي ساعده ، تنازلت له عن العرش ، فأصبح ملكا وتوج باسم « متليك الاول » .

ويقول المؤلف « ان اسطورة ملكة سبأ ، والملك سليمان ، تمثل جزءا هاما من التراث الحبشي ... » ولكنه يعلق على هذه الاسطورة قائلا « ان انجذاب العظمى الفارسى ، لا يقر هذه القصة ، بل يؤيد وجهة النظر العربية ، على ان يخلص كانت ملكة سبأ في اليمن » وبهذا يكن من أمر ، فلان هذه الملكة وابنها ، هما اللذان أدخلتا الديانة اليهودية في الحبشة .

٣ - الحبشة والديانة المسيحية :

اما كيف أصبحت الحبشة ، تدين بالمسيحية ، فقد أوضح المؤلف ذلك قائلا :

« ولعل الرواة مذاهب شتى ، الا ان اكثر الروايات شيوعا في المصادر التاريخية ، هي ان اخوين سوريين ، كانا مسافرين ضمن جماعة في البحر الاحمر ، ففرقت سليلتهم ، ونجيا وجنعا فاخذا الى الملك « اكسوم » ولدى وصولهما متلا بين يديه ، وانجب بهما ، فعين أحدهما وهو « ابيسيوس » خادما وسأله الخاص ، اما الثاني واسمسه « فرومانيوس » فعينه كأحد امثاله ونافى خزنته . وبمرور الأيام فوي نلوا هذا الأخير وعلا شأنه في البلاط بحيث لا دنا أجل الملك لم واقته المتية ، ونصب وصيا على العرش ، اذ كان « لزانه » ابن الملكا زال صبييا .

ففي هذه الفترة ، عمل فرومانيوس ، بكل دهاء وحكمة ليزج بلور الدين الجديد بين افراد العائلة ، وأخيرا تمكن من الملك « لزانه » الذي أعلن النصرانية ديناً له . وسافر فرومانيوس الى الإسكندرية ليؤلف هذه البشري التي يطرأها الاطباء هناك ، فما كان من هذا الأخير الا ان عينه ، مطراناً للكنيسة النبطية في الحبشة ، فكانت هذه السابقة أي تعيين مطران للكنيسة الحبشية ، أول سابقة أدرجت بموجبها الكنيسة الحبشية ، بالكنيسة المرفسية في الاسكندرية ، ومنذ ذلك التاريخ ، أصبح بطريرك الاسكندرية هو الذي يمين مطارنة الكنيسة الحبشية من بين الاطباء الصريح ، وفرضت هذه السابقة سارية المفعول عبر العصور حتى عام ١٩٥٨ ، حينما أدخل تغيير جوهري على هذا ليلما ، اذ استقلت الكنيسة الحبشية عن الكنيسة الام ، فوجب ان يكون « ابونا » أي الطران « حبشيا » يرشده الإمبراطور بناء على توصية المجلس الديني الحبشي ، وبمصادق على تعيينه بطريرك الاسكندرية . »

٤ - المسمون في الحبشة :

والذا كان الامر كذلك ، هل يمكن القول ان الاثرية الساحقة من الاحباش مسيحيون ام لا ؟ واجابة على القول ذلك يقول المؤلف « ان البتة سؤال هذا ، الى جانب الافتقار لأي نوع من المعلومات الإحصائية والحقائق التي يركز اليها ، في الحقيقة مسؤولية علمية ، ولو ان انراي السائد لدى الكثير ، هو ان أبوبيا تتمتع بالهوية مسيحية كبيرة على الأقل » .

وقد ظهر له بعد دراسة ، مؤلفات عدد من الكتاب الأجانب ان من الصعب القول ان المسيحيين يشكلون اكثرية السكان ، ولذلك نتيجة لذلك واستنادا الى ملاحظاته وتسمياته الشخصية ، فهو يميل الى الاعتقاد بان المسلمين والمسيحيين ربما كانوا متقاربين من حيث نسبة كل منهما للمجموع . »

٥ - امبراطور غريب الأطوار :

وهذا الإمبراطور هو « تيودور الثاني » الذي تولى شؤون الحكم في الحبشة في منتصف القرن التاسع عشر ، على الرغم من كونه خرج من عامة الشعب . لقد تعدت المؤلف بأساليب من حياة هذا الإمبراطور الذي لم يكن الا شابا خفارا تمكن في بحر سنوات معدودة ان يصبح اعظم امبراطور ابوبيا . وكان اسمه في اول امره « كاسا » ولكنه اختار الاسم « تيودور » تحفيقا للأسطورة الحبشية القديمة التي تقول « انه سيظهر يوما ما ملك

لقد جاء الكتاب : - ٤٨٤ - صفة من القطع المتوسط ، توضعها ابوابه (الثمانية والمشرون) اذ تناولت بالبحث فيها عن البلاد واهلها ، وعلاقاتهم بجيرانهم ولا سيما (العرب) منهم ، وصلة التنافس الدولي بينهم ، ونجاح بعض الدول الأوروبية بجانيها ، واحتلالها ، كما تناولت بالبحث الكنيسة الحبشية ، وازورها في المجتمع ، والباطرة وما فعلوا من اغتيال لتثبيت حكمهم ، وفرد الطيان لها وخرجهم منها بمساعدة الانكليز ، وسيطرهم على اديتريا ، وما الى ذلك التي اخر فصل تحدث فيه ، من لورة العسكر على هيلسلاسي ، وانتهاء حكمه الى الابد .

لقد قرأت ابواب هذا الكتاب الممتع ، وانتهيت لفصوله بمرسمة ، وليس لي بعد هذه القراءة ، الا ان اهنئ الأستاذ على توثيقه في اعداد مادة الكتاب ، وتقديم ما حصل عليه من معلومات بهذا الأسلوب السلس الشائق البعيد من التحلق والتعقيد ، ويطلب لي ان اقدم في بساط « مكتبة الاديب » اهم ما خرجت به من حقائق وفوائد وطرائف ، بعهد هذه القراءة ، وفيه في اشراق القاري في الوقوف عليها ، وهي كما يأتي :

١ - أصل الاحباش :

يقول المؤلف ان « الاحباش » قوم من القبائل السامية التي نزحت من جنوب الجزيرة العربية ، وقد امتزج دمهم بالدم العامي على لغاب الالام ، فأصبح هذا الزيج البشري الكلم يعرف بـ (الاحباش) . ويقول ان هذه التسمية جاءت نسبة الى احدى القبائل اليمنية المعروفة باسم « حبشات » ، وان اول لغة مكتوبة لهم هي « لغة الجميز » المسبوبة الى احدى القبائل اليمنية ايضا وهي قبيلة « الاجاز » .

٢ - ملكة سبأ والاحباش :

وتحدث المؤلف من ملكة سبأ التي تسمى عندهم باسم « ماكيدا » وعن الاسطورة الشائعة عند الاحباش ، والتي تقول : ان هذه الملكة ، لما سمعت بالملك سليمان ، شددت الرحال اليه وكان ذلك في حوالي سنة

مجلة

البيان

مجلة فكرية شهيرة تصدرها
رابطة الادباء في الكويت
وتحررها الاعلام العربية الاصيل

•

للاشتراك ، يرجى الاتصال بعنوانها التالي :

ص.ب. ٣٤٠٤٣ - المدينية
الكويت

•

« البيان » ... توزع في معظم الاقمار العربية

أسمه تيودور له من القوتو السلطان ما يمكنهم جمع كلمة البلادوتوحدها
وحرر المسلمين واستعادة بيت القدس » .

لقد قام هذا الإمبراطور ، في أول أيام حكمه بمحاولات إصلاحية ،
لكنه لم يتطعم من تحقيق كل ما أراد تحقيقه . وكانت تصرفاته في كثير
من الأحيان تصرفات شاذة غريبة ، وله بسببها مشاكل مع بريطانيا
أيام حكم الملك إديوندا ، فقد سجن مئة من مدعيه في البشرون الأوربيين
وسجن مئة من الكاثوليك ، الذي كان في الأصل شابا مسلحيا ، هو المسمو
(« هرز رسام ») ولا لم تجد همه التوسطات للأفراج منهم ، جردت بريطانيا
حيلة كبيرة بقيادة الجنرال دويرت نابير ، فاحتلت الجبهة ، غير أنه
التحر قبل أن يستسلم . وقد أبت المؤلف نص رسالة له بعث بها إلى
هذا الجنرال جاء فيها قوله « .. لقد أمسي جتودكم ليتمتع بالصلبية
بفرح وجور ، سكرى من نشوة الانتصار ، فأسأله تعالى أن يرثكم نفس
المسير التي كنت أنا فيه ، لقد كانت أمنيته بعد أن سحلت مفادسة
عسوي وغلبت عليه ، أن أؤد جيشي نحو بيت القدس لتحريرها من
الاراك وطردها عنها ، فإن العاريب البطل هو الذي يستطيع أن يفر أوى
الرجال بين لردايه ، هزا ، كمناديب الأم طفلها بين يديها وترفعه .. » .

٦ - الإمبراطور المسلم :

وتتحدث المؤلف عن الإمبراطور « مليك الثاني » وما جرى قبيل
وفاته من إجراءات حول اختيار وريث للعرش ، يتولى الملك بعده ، إذ لم
يكن لهذا الإمبراطور الابنة « زاودينو » التي لا يمكن أن تكون إمبراطورة
على الجبهة ، لأن أمها لم تكن من بنات النبلاء ، فعما الذي نسم
قبيل وفاته ؟

لقد أوصى أن يكون ابن بنته « شوارينا » التي تزوجت « الراس
ميخائيل » في هراز ، وهو المسمو « ليح أياسو » أوصى أن يكون هذا
الابن ملك بعده ، ولما كان عمره إذ ذاك (١٤) عاما أوصى أن يكون تحت
رعاية الأساقفة الروس ، حتى يبلغ أشده ، وإن يكون الجنرال (« نالاسكا »)
وصيا له العرش حتى يبلغ الملك سن الرشد .

ولقد أفضيت هذه الوصية زوجته « نايبي » التي كانت تطمع هي
بالوصاية على العرش ، ولذلك لم يكد يتولى هذا الشاب شؤون الملك
بدأت بالفعل لإبعاده من العرش ، يدعو أن في معه ، وما استلبا ، لأن
أباه « ميخائيل » كان قد تنصر في زمن الإمبراطور « بوشنا » وحمل هذا
أن تلجج في دسائسها ضد هذا الإمبراطور ، الذي أطلق عليه لقب
« الإمبراطور المسلم » ويكفي أن تشير إلى أن النبلاء والقواد الذين
تحالفوا معه اجتمعوا في العاصمة ، بعد محاربته والانتصار عليه ،
وظلموا من طمران الكنيسة ، أن يصدر القرار الآتي نصه « بونه رافينا
من الولاء للإمبراطور لانا لا نخضع للأسلام ولا يمكننا تسليم بلادنا للجنوبي
من شرق الأساليب الخبيثة التي يمارسها ليح أياسو ، ولقدو مملكتنا
للدمار . » وفي يوم ٢٧ - أيلول - ١٩٦٦ صدر القرار بطلعه وتنصيب
زاودينو امبراطورة بلاء منه إلى أن يكون الوصي على العرش « الراس
نفاي » الذي سمي بعد ذلك باسم « هيلاساسي الأول » حين تسوج
امبراطورا سنة ١٩٢٠ .

٧ - هيلاساسي الأول :

وتحدث المؤلف عن الكيفية التي أصبح بموجبها هذا الراس ملكا ،
ولقب نفسه ب« ملك الملوك » الإمبراطور هيلاساسي الأول .
لا تريد أن نتحدث لنفائره حول فرو الطيان للجنبة في أيامه ،
وكيف عاد إلى بلاده من مملكة بسماعة الأكلز بعد ذلك ، إذ المؤلف
قد أتبع هذا الموضوع بحثا ، ولكننا نود أن نقل ما قاله حول الأسلوب
الذي اتبعه في حكم البلاد ، وهو أسلوب الحكم الفردي المطلق ، ومن
ذلك هذه الصورة « ومن الأمور المألوفة في أدبيات آيايا ، أن يبع بسلام
الإمبراطور ، بعدد كبير من الناس ، في مقعتهم العظماء وشخصيات
البلد ، مجتمعين كل حسب قدره ومزجه .. ولعلنا نجسمنا الصعاب
بالأسلار بين بلد وآخر وجئنا إلى أدبي آيايا ، حسب مواعيد محددة ،
مع بعض الوزراء وغيرهم فلا نجد لهم أرا في الموعد المحدد فإن الوزير
الذي لم يأت في البلاط ، وإن مساعد الوزير كذلك في البلاط الخ »
ولأساء الصلة الشرعية ، على الحكم المطلق ، جعل لقبه « ملك

الملوك وأسد قبيلة بوندا ، الفاهر المنتخب من الآله ، الأميراطور هيلاساسي
الأول » ولكن هذا الأسد يقبض عليه ويدخل القفس ويخضع من عرشه ،
في شهر تشرين الأول سنة ١٩٢٤ وفات في شهر آب بعد عام .

٨ - آل العروم النبيلة :

ومن العادات القوية التي ذكرها المؤلف ، عادة (أكل اللحم النبيلة)
عند الإحياش ، ومما قاله من هذه العادة قوله « وفي الإحياء والنباتيين
الكبيرة ، تنصب الولائد الطويلة استعدادا لهذه الوليدة التي لا تستعمل
على أي نوع آخر من الطعام ، فتجلب أطباق كبيرة مليئة بطبق اللحم
المختلطة الأحجام بظاهنا وشحمها ودمها ويوضع أمام المدعوين » .

واليت من هذه العادة ، ما كتبه الساتج بروس ، في يومياته إذ يقول
« لم ياتون يتور أو برة ، ويربونها في باب الحجر أو الكوخ ، ويشدون
ونالها ، فيتلطم منها النان أو أكثر من المشترين في الوليدة ، يتولسون
القطاع اللحم من جسم الهيمة ، وهي حية منتصبة على فوالها الأربع ،
غيبدا لعم يسيل منها نتيجة الجروح البليغة التي احدثوها في جسمها
وهي تملد الفلدا خوارا من شدة الألم ، ولقد قطع اللحم إلى اجناسين
والجاسسات وهم ياكلون واللحم يؤكل مخلوفا بالقراس
من الخبز المصنوع من نوع من الحبوب يمي بالغة الاميرة « تيف » .

٩ - مجالس الفات في هراز :

وتحدث المؤلف من مجالس الفات في هراز ، حيث يعيش المسلمون
من الإحياش ويقول « للقات مجالس خاصة ذات أصول وتقاليد - كما
في الحال في الدين » متصلة فيهم منذ عرفوا زراعة هذا النبات ، ولقد
مجالسه عادة بعيد القليلة ، فقبل مجيء الرجال إلى المنزل تكون ربة
البيت قد أعدت ما يقتضي لذلك ، ونظمت غرفة الاستقبال ، وصليت
الوسائد حول جدرانها ، وبنزوا عليها . وتنتهي التقاليد المرحية ، الفاتح
المجلس بسلامة ... لم يلى ذلك اشتراك جميع الحاضرين في ترديد بعض
العبارات المألوثة منهم في مدح الفات ، وفوالده واحتاج الذي يزعم
والذين احضروه ، والفاة لهم جميعا بالخير ، فمن جملة ما يرددون ما
يلس :

رحم الله من ذرع الفات ، ورحم من عني به ، ونسأله تعالى
أن يبدله الجنة ، ويوفيت اليد التي اقلعته ، وعوفي من جلب لنا
القات .

١٠ - الاجابيين بين السلب والاعتداء :

وتحدث المؤلف في كثير من صفحات كتابه ، عن المسار المذلل
المسيطر على غالبية السكان ، وبسبب هذا الفكر ، كثيرا ما كان يتعرض
الاجابيين الى السلب والاعتداء من قبل الإحياش ، ويرى تأكيد ذلك
الصورة القوية « عندما زرت ألبانيا لأول مرة سنة ١٩٦٦ نصحتني بريلي
ممثل منظمة الأديبة والمفكر الأدبية ، للمير في أدبي آيايا ، بسان
لا اتحد الفئدة بعد الساعة الثامنة ليلا ، منيا على الإقدام لتحاسي
الاعتداء والسلب الذين يتعرض لهم الاجابيين ، واطمئني أن أحد زملائه
رجم بالحجارة أمام الفندق ونزف الدم من راسه .. هذه حقيسية لا
مبالغة فيها » .

وبعد : فنك هي أهم الفوائد والحقائق والطرالف التي خرجت بها ،
بعد قرأني لهذا الكتاب الشائق ، وهناك غيرها كثير ، أعرضها على
القارئ ، عله يجد في مطالعة هذا الكتاب نفس ما وجدته فيه من جسد
ومتعة وفراة ، فضلا عما سيلفد عليه من معلومات هامة ، عن هذا القطر
الافريقي الغريب .

شكرا لاساتذات المعارف ، على هدية التهيئة ، وجهده الجليل في
اعداد ابواب هذا الكتاب اللامع النافع ، أعلا أن نقرأ في المستقبل القريب
كتابا آخر يجتثنا فيه عن قطر مجهول جديد ، من تلك الألفاظ التي عمل
فيها ، وأن كنا نعرف أن دخوله هذا العمل ، حقل الكتابة والتأليف ،
سيعود ليهم بالصعاب والانتاب والخسارة في اثر العائل . بارك الله فيه
والحانا من علمه وفلسه وأدبه .

فقداد

عبد الرزاق الهلالي